

علاوة على «معجم البلدان» و «آثار العباد» و «عجائب المخلوقات» الكشف عن أربعة مصادر عربية قديمة اقتبست نصوصاً لابن فضلان

◆ حسين محمد عجيل

مقدمة

منحت المادة الثرية التي احتوتها رسالة ابن فضلان، بما فيها من إشكاليات عديدة نصية وتاريخية وجغرافية وإثنوغرافية تثير كثيراً من الأسئلة الجوهرية، مجالاً خصباً للدارسين في العصور الحديثة من شتى الاختصاصات وبعديد اللغات، إذ ابتداء الاهتمام الاستشراقي به سنة 1800م، وذلك لما اتسمت به الرحلة من قدم نسبي وريادة وثقها ياقوت الحموي في معجم جغرافي عربي شهير وكثير التداول، كُتب في مطلع القرن السابع للهجرة، وبانفرادها في توثيق مبكر لتاريخ منطقة بكر من العالم القروسطي تقع في أقصاه، وبمزجها ما بين الجانب التسجيلي، وإن كان عاماً، إطارياً، غير مفصل، في الرحلة، وهو ما يهّم المؤرخ المعني بالبعد الزمني موشحاً بوصف المكان، والشخص الفاعل ومن يمثلون، وعلائقهم وتراتبيتهم، والوقائع والأحداث والربط السببي بينها، من جهة، وبين غنى الجانب الخاص بعلم الإنسان وعلوم الجغرافيا والاجتماع والاقتصاد، من جهة ثانية، في النص الفضلاني الذي عالج بمستويات متباينة من التركيز، شؤون المجتمع والأسرة، والصلات الرابطة بين الأفراد والطبقات الاجتماعية التي ينتمون لها،

عن صفاته الأخرى المتداولة؛ فقد فتحت محاولته المبكرة الباب لظهور نمطٍ كتابيٍّ جديدٍ هو أدب الرحلة، كان هو رائده الأول، وحذا حذوه فيما بعدُ أعلامٌ كبار.

وفي ضوء هذا كان من الغريب عندي، وعند كثير من الدارسين، أن تظلَّ مثلُ هذه الرحلة بريدتها وثرها كشوفاتها المتعددة الأوجه، بعيدةً عن تناول أقلام المؤلفين العرب القدامى، بحيث لم تُذكر، ويُقتبس منها، أو تردَّ الإشاراتُ إليها، سوى في "معجم البلدان" لياقوت الحمويِّ وفي كتابين لمعاصره القزوينيَّ هما "آثار العباد وأخبار البلاد"، و"عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات". وكان هذا⁽¹⁾ هو كلُّ ما أسفرت عنه جهودُ المستشرقين والمستعربين والباحثين العرب طوال 220 عاماً من البحث والتحرِّي الدقيق عن أيَّة معلومة أو إشارة صريحة أو مضمَّنة في هذا المجال له ولرحلته. وكثيراً ما كنتُ أتساءل، عمَّا يمكن أن تُخفيه بطونُ آلاف الكتب والمخطوطات العربيَّة القديمة، المُحتجزة في ظلمة المكتبات وخزائن المخطوطات المتناثرة في قارات العالم، من إشاراتٍ ونقولٍ غير مكتشفة حتَّى اليوم، قد تظهر

(1) فضلاً عن اقتباس صريح من الرحلة مع الإشارة لابن فضلان في كتاب بعنوان "عجائب نامه [=عجائب المخلوقات]" وضعه بالفارسيَّة في نحو منتصف القرن السادس للهجرة محمَّد بن محمود بن أحمد الطوسي، واقتباس آخر من دون التصريح باسم الرحالة ورد في كتاب "هفت إقليم [=الأقاليم السبعة]"، وضعه بالفارسيَّة أيضاً أمين أحمد الرّازي الذي عاش في أواخر القرن العاشر وأوائل القرن الحادي عشر للهجرة. تُنظر: "دائرة المعارف الإسلاميَّة الكبرى"، بإشراف كاظم الموسوس البجنوردي، الناشر: مركز دائرة المعارف الإسلاميَّة الكبرى، مؤسَّسة الطبع والنشر التابعة لوزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، طهران، ط1، 1998: 3/646. [صادرة باللغة العربيَّة]. وتُنظر كذلك (مادّة ابن فضلان)، في "إنسكلوبيديا الإسلام"، لترافيس زاده، بترجمة د. يوسف إسكندر، المنشورة في مبحث "ابن فضلان في دوائر المعارف والموسوعات"، ضمن هذا العدد الخاصّ بابن فضلان من مجلَّة (المورد).

وأدوار كلِّ طرفٍ، والكيفيَّة التي يدير بها هؤلاء الأفراد شؤونهم وصراعاتهم، وطبيعة السّلاطات التي تحكمهم سياسياً وعسكرياً وقضائياً وروحياً، ودور الدّين فيها، ولغاتهم وطرائق عباداتهم، وأساطيرهم، وطقوسهم وعاداتهم في مناسبات الفرح والحزن، وماهيَّة وعيهم لذواتهم، وماهيَّة نظرتهم إلى أنفسهم (بوصفهم قبيلةً أو شعباً أو أمّةً) وإلى الآخر والكون وأصل الحياة، ومكانة المرأة في مجتمعاتهم، وأنماط مساكنهم وأسواقهم، ونقودهم وأسلحتهم وأزيائهم، وأنواع زينتهم، وأوقات لهوهم ومجونهم، وألوان أطعمتهم، وطريقة طهوها، وتقاليدها وتناولها، ومناخ أراضيهم وتضاريسها ومفازاتها وأنهارها وجبالها ونباتها وحيوانها، وما يمتلكون من ثروات ووسائل إنتاج تُعينهم على ديمومة الحياة، وبيان تأثير البيئة سلباً أو إيجاباً على ذلك، وطبيعة إنتاجهم الصّناعيِّ والزّراعيِّ، وسبل تداوله تجارياً فيما بينهم ومع مجاوريهم بالمال أو بالمقايضة، والصّرائب المفروضة عليه، والقوانين والأعراف المنظّمة لذلك كلّ، مدوّناً أشتاتاً منتقاة من كلِّ ما سبق بلغة رشيقة لمّاحة، تتوفّر على قدر كبير من الحيويَّة والذكاء والطرافة، ولا تخلو من السّخرية حتّى من الذات أحياناً، متجاوزاً الحدود الرّسميّة التي كان يمكن أن تقيده، بوصفه عضواً بارزاً في بعثة دبلوماسية دوليّة، يحمل رسالة عاهل أكبر إمبراطوريَّة في ذلك الزّمان، إلى كتابة رحلة ممتعة سبّك فيها بمهارةً فيضاً من المعلومات والمشاهدات العيانيَّة، فبدت وكأنّها قطعة أدبيَّة يغلب عليها الحوار والوصف والترقّب والتشويق والسرد القصصيِّ الحيِّ والانتقالات المثيرة، وهو ما يهّم الأديب والشاعر والفنّان والقارئ العام. إنَّ مهارة ابن فضلان الكتابيَّة التي مكّنته -على غير مثال سابق ومكتمل في حدود ما وقفتُ عليه- من إثارة اهتمام كلِّ هؤلاء الشّخوص المتباينيِّ الاهتمامات وجذبهم بشدّة إلى قراءته، لتوهّله أن يوصف بالأديب، فهو يحمل كثيراً من خصائصه، فضلاً

بعضاً من تجليات النصّ الفضلانيّ في مؤلّفات سبقت الحمويّ والقزوينيّ أو تلتهما.

وفي ضمن هذا التوجّه تأتي محاولتي هذه، التي عمدتُ فيها إلى تسليط الضوء على المصادر العربيّة القديمة الثلاثة التي ذكرت ابن فضلان واقتبست من نصّه مع الإحالة عليه، أملاً في الكشف عمّا يضيف جديداً إلى حيّز دراسته، وقد ظفرتُ بهذه البغية، بعد جهد بحثيّ مضمّن، بذلته في تتبّع بعض الخيوط التي رجّحت أنّها ستثمر عن شيء، حين وُقفتُ إلى الكشف عن أربعة من المؤلّفين العرب القدامى، ذكروا ابن فضلان، واقتبسوا من رحلته، ليضافوا إلى الحمويّ والقزوينيّ، وهم:

1 - نور الدّين، أبو الحسن، علي بن عبد الرّحمن بن شبيب الحرّانيّ الحنبليّ، في كتابه "جامع الفنون وسلوة المحزون".

2- أبو حفص، سراج الدّين، عمر بن المظفر بن الورديّ سراج الدّين ابن الورديّ، في كتابه "خريدة العجائب وفريدة الغرائب".

3- الكاتب المجهول الذي جمع كتاب "مرآة الكائنات شرح عجائب المخلوقات" المخطوط.

4 - أبو البركات محمّد بن أحمد بن إياس الحنفيّ، في كتابه المخطوط "نشق الأزهار في عجائب الأقطار".

ولتضاف هذه الكتب الأربعة إلى قائمة المصادر التراثيّة الثلاثة المعثور عليها حتّى اليوم، التي تناولت ابن فضلان واستقتت من رحلته ونصّت على اسمه، معالجاً في الأثناء جهود بعض الباحثين العرب والمستعربين والمستشرقين الذين تناولوا المصادر الثلاثة المعثور عليها من قبل بالدّرس والنّقاش، مبدياً ملاحظاتي التّصويبيّة واستدراكاتي عليهم، ومن بينها، شذرة مهمّة استقاها المؤرّخ السعوديّ (معاصر ابن فضلان) من نصّه الرّحليّ، ولكن من دون التّصريح باسمه، ثمّ نقلها الحمويّ في معجمه عن السعوديّ، وكذلك شذرتان استقاها القزوينيّ من ابن فضلان من غير الإحالة إليه، بشأن الحزّر وبلاد ويسو. هذا فضلاً عن مناقشة

الآراء التي أوردها بعض المحقّقين والباحثين بشأن المؤلّفين الحقيقيّين لثلاثة من الكتب الأربعة التي اكتشفتُ اقتباس مصنّفها من نصّ ابن فضلان الرّحليّ، وهي:

- كتابا "جامع الفنون وسلوة المحزون"، و"خريدة العجائب وفريدة الغرائب"، اللذان جمعتهما مفارقة غريبة، فقد نُسب الأوّل للحرّانيّ السّبط مرّة، وللحرّانيّ الجدّ مرّات. ونُسب الثّاني لابن الورديّ الجدّ في المخطوطات بعض المصادر والمراجع، ولابن الورديّ الحفيد في غيرها، وحاولت بعد دراسة كلّ حالة على حدة، وبالعودة إلى نسخ مختلفة من مخطوطات الكتّابين، وإلى عدّة مصادر ومراجع ذات صلة، فكّ الالتباسات التي أدت إلى هذا الخلط بين جيلين من العلماء في أسرتين علميّتين، كان من تقاليد عصرهما استعادة أسماء الأسلاف القريبين في الأبناء تيمناً وتبرّكاً، مع كناههم وألقابهم أحياناً.

- مخطوطة "مرآة الكائنات" وهو كتاب لمجهول ضمّ الشّطر الأعظم من نصّ "عجائب المخلوقات" مع حذف ديباجته ومقدّماته الأربع وإعادة تحريره وإضافة فصول عديدة إليه، وقد عدّه المستشرق الألمانيّ فرديناند فستيفيلد الإبرازة أو الإصدار أو النّسخة المحرّرة الرّابعة والأخيرة لكتاب القزوينيّ المذكور، مع أنّه يعترف أن هذه الإبرازة تمّت بعد وفاته وببيد غيره.

لقد جاءت الكتب والدّراسات والأبحاث والكتابات التي عنيت بالرحلة من زواياها المتعدّدة، وبالمصادر العربيّة القديمة ذات الصّلة بها، بمستويات متباينة من الاستقصاء والدّقّة والعمق، وبذل فيها كاتبوها المتّسمة مشاركاتهم بالجدّة والرّصانة، جهوداً تراكمت مع غيرها لتجعل كلّ تفصيل صغير في هذه الرحلة والمصادر التي نقلت منها، ذا قيمة وأهميّة لاختصاص معرفيّ ما، وفي هذا شيء من إنصاف متأخّر لهذا الرّحالة البغداديّ. وعلى الرّغم من الجهد المبذول في نسبة غير قليلة منها، فإنّ محتواها لم يخلُ من السّهو

محمد بن سليمان (قُتل سنة 304هـ)، ثم مولى الخليفة المقتدر بالله العباسي الذي اختاره ضمن البعثة، لقراءة رسالته على ملك الصقالبة الممش بن يلطوار، الواقعة مملكته على ضفاف نهر إتل (نهر الفولغا ضمن أراضي جمهورية تاتارستان حالياً، التابعة لروسيا الاتحادية) مبيناً طبيعة مهمته، ومسار بعثته، وعودته إلى بغداد. وكان في نقله مناقشاً ناقداً ذا رأي، كعادته في كثير مما ينقل.

وفي واحدة من الإحالات غير المباشرة إلى ابن فضلان، نقل الحموي في مادة (البرغر) من معجمه عن المؤرخ الشهير أبي الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي (المتوفى سنة 346هـ)، قوله: "والليل في بلادهم في غاية القصر في الصيف، حتى أن أحدهم لا يفرغ من طبخه حتى يأتيه الصبح"⁽³⁾. وعلق الحموي على كلامه قائلاً: "هذه الصفة جميعها صفة بلغار وما أظنهما إلا واحداً"⁽⁴⁾.

وأرجح أن المسعودي استقى فحوى عبارته ومعلوماته هذه من رسالة ابن فضلان، الذي أبدى دهشته من قصر الليل في بلاد الصقالبة (البلغار)، فقال: "إن الإنسان يجعل القدر على النار وقت المغرب، ثم يصلي الغداة وما آن لها أن تنضج"⁽⁵⁾. وجاء هذا النص في كتاب المسعودي "مروج الذهب ومعادن الجوهر" عند حديثه عما سماها بلاد (البرغر)، بصيغة تشي بشك هذا المؤرخ البغدادي بأقوال ابن فضلان، مواطنه المعاصر له، مع التجهيل التام له اسماً ورحلة ورسالة، فقال: "والليل في بلاد البرغر في نهاية القصر في بعض السنة، ومنهم من زعم أن أحدهم لا يستطيع أن يفرغ من طبخ قدره

والوهم والنقص والتناقض، شأن كل عمل بشري يتطلع أبداً إلى تخوم الكمال، ومن آراء مستعجلة يعوزها الدليل، ومن إطلاق أحكام واهية وفي غير محلها، نتيجة لتباين المقدرة الذاتية أو الموضوعية على تفحص المصادر والمراجع ذات الصلة وإجادة توظيف ما فيها، ومن ضعف في الاستقصاء والتعمق، تسبب في الوصول إلى استنتاجات غير دقيقة أحياناً، أو مخالفة للمثبت تاريخياً، وهو ما يدعو إلى المراجعة الدائمة لمحتوى هذه الجهود وإعادة النظر في خلاصاتها، لأجل تقويمها وتصويب ما اعترأها من خلل.

ياقوت الحموي والقزويني.. استعادة وتوضيحات

قبل العثور على المخطوطة المختصرة والمبتورة النهائية، لرحلة أحمد بن فضلان في مشهد بايران سنة 1923، كان يُعزى إلى ياقوت الحموي (شهاب الدين، أبي عبد الله، ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي، المتوفى سنة 626هـ=1228م) فضل التعريف بذلك الرحالة البغدادي وبعثته الرسمية، التي انطلقت من بغداد متوجهة إلى مملكة الصقالبة على ضفاف نهر الفولغا في شمالي أوروبا الشرقية قبل 11 قرناً، (سنة 309هـ=921م)، فقد نقل الحموي مقاطع مطولة من الرحلة شككت أكثر من نصف مادتها، في ستة مواضع من كتابه الجغرافي الشهير "معجم البلدان"⁽²⁾، الذي ظل المصدر الأساس لكل من جاء بعده، ذاكرة اسم الرحالة إلى الجد الرابع، ومعرفاً باقتضاب بصفته الاجتماعية، بوصفه مولى قائد جيش الخلافة

(3) "معجم البلدان": مادة (برغر): ج 1 ص 385.

(4) المصدر نفسه وكذلك الجزء والصفحة.

(5) "رسالة ابن فضلان في وصف الرحلة إلى بلاد الترك والخزر والروس والصقالبة سنة 309هـ/921م"، تحقيق د. سامي الدهان، المطبعة الهاشمية، دمشق، 1379هـ/1959م: ص 125.

(2) وهذه هي المواضع الستة على وفق تسلسل ورودها في كتابه، بطبعة دار صادر الثانية، بيروت، 1995م: ج 1/ ص 87-88 [مادة (إتل)]، ج 2/ ص 322-323 [مادة (باشغرد)]، ج 1/ ص 485-488 [مادة (بلغار)]، ج 2/ ص 367-369 [مادة (الخزر)]، ج 2/ ص 398-395 [مادة (خوارزم)]، ج 3/ ص 83-79 [مادة (روس)].

حتى يأتي الصباح“⁽⁶⁾. ولعلّ هذا دليلاً على معرفة المسعودي بمرويات ابن فضلان، فمن المتوقع من مؤرّخ ورّحالة ومؤلّف مُكثّر مثله، الاطلاع على كتاب من يشاطره اهتماماته كلّها، ففي سنة 309هـ نفسها التي كان فيها ابن فضلان يخترق مع بعثته بلاد فارس، متوجّهاً إلى مقصده القصي، كان المسعودي يطوف بلاد فارس وكرمان حتى استقرّ في إصطخر، وفي سنة وصول ابن فضلان إلى بلاد الصّقالبة (310هـ) قصد المسعودي الهند إلى ملتان، ثمّ توجّه إلى سرنديب، ومن هناك ركب البحر إلى بلاد الصين⁽⁷⁾، قبل أن يعود إلى عُمان، غير أنّ المسعودي قال في مقدّمة مروه بعد أن أثنى على عشرات من المؤلّفين السابقين: ”ولم نذكر من كتب التّواريخ والأخبار والسّير والآثار إلا ما اشتهر مصنّفوها، وعُرف مؤلّفوها“⁽⁸⁾، فلعلّ هذا هو المانع الذي حال دون ذكر اسم ابن فضلان ورسالته في ضمن مصادره الكثيرة التي نصّ عليها. ولا يُستبعد أن يكون الرجلان قد التقيا في بغداد مرّات، وتداولوا في شؤون البلاد التي قصداها، لكنّ المعاصرة قد تكون لها أدواؤها أحياناً، والأمر يتطلّب بحثاً خاصاً موسّعاً لا يتسع له المقام هنا، لحشد كلّ الأدلّة على ما كان أشار له أكثر من باحث، بأنّ المسعودي أفاد من رحلة ابن فضلان.

حين تنبّه جملة من المستشرقين، في مفتح القرن التّاسع عشر، إلى أهميّة رحلة ابن فضلان، وكشفها عن بعض مجاهل التّاريخ البعيد لأقوام آسيويّة وأوربيّة لا يُعرف عنها شيء موثّق في المصادر الموازية، كان الحمويّ هو مصدرهم الأوحد حتى إلى ما بعد عقد من لحظة العثور على المخطوطة النّادرة. وقد دفعتهم الرّغبة في

(6) ”مروج الذهب ومعادن الجوهر“، لأبي الحسن علي بن الحسين بن علي المسعودي، اعتنى به وراجعته: كمال حسن مرعي، المكتبة العصريّة، بيروت، ط1، 2005م: ج1/ ص141.

(7) المصدر السابق: ج1/ ص5 (من مقدّمة المحقّق).

(8) المصدر السابق: ج1/ ص14 (من مقدّمة المؤلّف).

استكمال صورة المشهد التّاريخي لمسار الرّحلة والأقوام والشّعوب والأمم التي دوّن عنها ابن فضلان مشاهداته العيانيّة الدالّة على عقليّة فذة، إلى التّحرّي الدقيق عن نسخ من كتاب ابن فضلان الثّمين في خزائن المخطوطات في العالم، أو عن أيّة مصادر عربيّة أو شريقيّة أخرى قديمة، ربّما تكون نقلت من الكتاب المفقود مقاطع أو أشارت إليه، أو ترجمت لمؤلّفه، فتحقّق الجزء الأهم من طموحهم بالحصول على نسخة خطيّة شبه مكتملة من الرّحلة، لكنهم لم يظفروا بسوى شذرات بالعربيّة والفارسيّة في بعض المصادر القديمة، وظلّ ما أورده الحمويّ عنه محتفظاً بقيمته، حتى بعد الكشف عن مخطوطة مشهد، ولا سيما قوله إنّ ابن فضلان عاد إلى بغداد بعد عام قضاه في مملكة الصّقالبة، وهذا من بين ما تفرّد بذكره، ولم يرد في نسخة مشهد النّاقصة النّهاية.

وأسفرت هذه الجهود- التي واصلها باحثون عرب في القرن العشرين- إلى اكتشاف أنّ زكريا بن محمّد القزويني (المولود سنة 600هـ=1203م، والمتوفى سنة 682هـ=1283م)، اثبت نصوصاً منقولة من ابن فضلان⁽⁹⁾، مصرحاً باسمه في أربعة مواضع من قاموسه الجغرافي ”آثار البلاد وأخبار العباد“. وجاء نقله بصيغتين، كلّ صيغة فيها اقتباسان: الأولى: ”قال ابن فضلان في رسالته“، وذلك في حديثه عن تجمّد نهر جيحون⁽¹⁰⁾، وكذلك عند حديثه عن مجيء التّجار الرّوس بسفنهم

(9) الملاحظ أنّ كلّ ما نقله القزويني في ”آثار العباد“ من نصوص ابن فضلان، موجودة جميعاً في كتاب الحمويّ ”معجم البلدان“، ولم ينفرد القزويني بأيّ نصّ لم يرد في ”معجم البلدان“. وهذا وإن كان يرجّح أنّه اعتمد على معجم الحمويّ، لكنّه ليس دليلاً جازماً على أنّه لم يطلع على رسالة ابن فضلان ليستقي منها مباشرة، ذلك أنّ الحمويّ نقل أكثر من نصف الرّسالة، في حين أنّ النّصوص التي نقلها القزويني في كتابيه محدودة نسبياً، ومنقاة.

(10) ”آثار البلاد وأخبار العباد“، زكريا بن محمّد بن محمود القزويني، دار صادر - بيروت (ب.ت): ص526.

فقد استنقاه القزويني بتصرف من المقطع الآتي من رسالة ابن فضلان، الذي حفظه ياقوت الحموي في معجمه: "وإذا ركب هذا الملك ركب سائر الجيوش لركوبه، ويكون بينه وبين المواكب ميل، فلا يراه أحد من رعيتيه إلا خرَّ ساجداً له، لا يرفع رأسه حتى يجوزه. ومدّة ملكهم أربعون سنة، إذا جاوزها يوماً واحداً قتلتها الرعيّة وخاصّته، وقالوا: «هذا نقص عقله واضطرب رأيه». وإذا بعث سريّة لم تُولِّ الدبرَ بوجه ولا سبب. فإن انهزمت قتل كل من ينصرف إليه منها. فأما القواد وخليفته، فمتى انهزموا أحضرهم وأحضر نساءهم وأولادهم، فوهبهم بحضرته لغيرهم وهم ينظرون»⁽¹⁶⁾.

وهناك شذرات أخرى في "آثار العباد" من الواضح أنّها مستقاة من رسالة ابن فضلان، منها قول القزويني معرّفاً ببلاد (ويسو): "بلاد وراء بلاد بلغار، بينهما مسيرة ثلاثة أشهر"⁽¹⁷⁾، وهي معلومة مأخوذة - على الأرجح - من ابن فضلان الذي نقلها عن ملك الصقالبة (البلغار): "وحدثني الملك أنّ وراء بلده بمسيرة ثلاثة أشهر، قوم يُقال لهم «ويسو»، الليل عندهم أقل من ساعة"⁽¹⁸⁾. أو ما جاء في رسالته على لسان الملك نفسه: "وكتبت إلى أهل «ويسو» وهم منّا على ثلاثة أشهر أسألهم..."⁽¹⁹⁾، وهي أول إشارة في المصادر العربية القديمة لهذه البلاد المجهولة، التي يُعتقد أنّ المقصود بها البلاد الاسكندنافية حالياً.

سقطاً بعد ثلاثة أسطر من بدء كلام ابن فضلان على الخزر في الصفحة (212 ظ) إلى نهاية الرسالة، وأنّه (المحقّق) أكمل النقص ممّا رواه ياقوت الحموي في "معجم البلدان" نقلاً عن رسالة ابن فضلان، وبين أنّه حذف من اقتباس الحموي الطويل هذا مقاطع ثبت له بعد التحقيق أنّ ياقوت استقاها من الاصطخري وابن حوقل.

- (16) "رسالة ابن فضلان" - بتحقيق الدّهان: ص-171
172.
(17) "آثار البلاد وأخبار العباد": ص-617.
(18) "رسالة ابن فضلان" - بتحقيق الدّهان: ص-126.
(19) "رسالة ابن فضلان" - بتحقيق الدّهان: ص-137
138.

إلى نهر إتل⁽¹¹⁾. والصيغة الثانية: "حكى أحمد بن فضلان رسول المقتدر بالله إلى ملك الصقالبة لما أسلم [أو: وقد أسلم]..". عند حديثه عن الباشغرت⁽¹²⁾، وهم قوم من الترك مرّ بهم ابن فضلان ووصف بعض أحوالهم وعباداتهم، وكذلك عند حديثه عن بعض عادات الصقالبة وطقوسهم الاجتماعية⁽¹³⁾ التي لفتت نظره وأثارت عجبه.

وكان القزويني نقل أيضاً من رسالة ابن فضلان في موضع خامس من كتابه "آثار العباد" من دون إحالة مباشرة إليه في حديثه عن (الخزر)، وهذا نص ما اقتبسه منه، مستخدماً صيغة "وحكي" المبنية للمجهول: "وحكي أنّ ملكهم لا يركب إلا في أربعة أشهر مرّة، وإذا ركب يكون بينه وبين الأجناد قدر ميل، وإذا رآه أحدُ يخرّ ساجداً، ولا يزال كذلك حتى يعبر الملك. وإذا بعث سريّة فانهزمت قتل الهاربين كلّهم، ويحضر نساءهم وأولادهم وقماشهم يهبها لغيرهم ويقتلهم. وحكي أنّ ملكهم إذا جاوز الأربعين عزله أو قتله خاصّته، وقالوا: هذا قد نقص عقله لا يصلح لتدبير الملك!"⁽¹⁴⁾.

وهذا الاقتباس هو خلاصة مقطع طويل انفرد ابن فضلان فيه بوصف أحوال ملك الخزر، وتقاليده الحكم في مملكته، والرّسوم المتبعة في بلاطه. والجملة الأولى من الاقتباس مستقاة بتصرف من قول ابن فضلان في أول كلامه على مملكة الخزر: "فأما ملك الخزر واسمه خاقان، فإنّه لا يظهر إلا في كلّ أربعة أشهر متنزّهاً"⁽¹⁵⁾. وأمّا سائر الاقتباس

(11) المصدر السابق: ص586.

(12) المصدر السابق: ص610-609. وسماههم ابن فضلان في رحلته "الباشغرد"، تنظر: "رسالة ابن فضلان"، بتحقيق الدّهان: ص107، وكذلك سماهم ياقوت الحموي في "معجم البلدان": ج2/ص322 ناقلاً عنه.
(13) "آثار البلاد وأخبار العباد": ص615.

(14) المصدر السابق: ص610-609.

(15) "رسالة ابن فضلان" - بتحقيق الدّهان: ص169. وذكر المحقّق في الهامش (1) من هذه الصفحة (وكذلك في الصفحات 57-52 من مقدّمته) أنّ في ختام نسخة مشهد

واقْتَبَسَ القزويني في كتابه الآخر "عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات"، مقطعاً آخر من رحلة ابن فضلان في النسخة المطبوعة من هذا الكتاب، عند حديثه عن المخلوقات العجيبة في نهر إتل (نهر الفولغا حالياً)، فمهد لاقتباسه بقوله: "وفي هذا النهر حيوانات عجيبة، ذكر أحمد بن فضلان عن رسول المقتدر بالله إلى بلغار قال: لما وصلت إلى بلغار سمعت أن عندهم رجلاً عظيماً الخلق، فسألت الملك عنه فقال: نعم، ما كان من أهل بلادنا، ومن خبره أن قوماً..."⁽²⁰⁾. ولعل في التمهيد خلافاً، إذا لم يكن بخطاً من الناسخ، بإقحام لفظة (عن) بين عبارة (أحمد ابن فضلان) و(رسول المقتدر)، وهو ما أرجحه، فربما كان من قلم القزويني⁽²¹⁾؛ ذلك أن ابن فضلان يذكر

(20) "عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات"، زكريا بن محمد بن محمود القزويني (المتوفى سنة 682هـ)، اعتنى به محمود عبد الله أسعد، دار الكتب العلمية، بيروت، 2013م: ص 180. وهذا النص المقتبس مطابق حرفياً لما ورد في طبعة أخرى سابقة من الكتاب صدرت غير محققة عن مؤسسة الأعلمي ببيروت سنة 2000، وجاءت بعنوان "غرائب الموجودات والحيوانات وغرائب الموجودات": ص 155. غير أن طبعة المستشرق الألماني فرديناند فيستنفلد، الصادرة في جيتنجن بألمانيا سنة 1849، بعنوان "كتاب عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات"، تضمنت هذا الاقتباس كاملاً غير مختصر، بما فيه الحكاية الخرافية عن سمكة قوم يأجوج ومأجوج. تُنظر الصفحة 176 منه.

(21) في نسخة المكتبة الوطنية الفرنسية من مخطوطة "عجائب المخلوقات" للقزويني ذات الرقم 221، يرد التمهيد في الصفحة (96 ظ) بهذه الصيغة: "ذكر أحمد بن فضلان رسول المقتدر إلى صاحب بلغار، وقال: بلغني أن عندهم رجلاً عظيماً الخلق...". وهي تبدو أقرب إلى ما ذكره ياقوت الحموي في "معجم البلدان": 1/87، الآتي بيانه في المتن. وفي مخطوطة أخرى من الكتاب نفسه محفوظة في المكتبة الوطنية الفرنسية أيضاً تحت رقم (2175- عربي)، ورد هذا الاقتباس في الصفحة (94 ظ) كالآتي (وقد نقلته على علته): "ذكر أحمد بن فضلان رسول المقتدر بالله إلى بلغار، قال: وصلت إلى بلغار سمعت أن عندهم رجل عظيم الخلق، فسئلت الملك عن فقال نعم ما كان من

في هذا المقطع، بحسب مخطوطة مشهد، أنه سمع من تكين التركي، وهو ثاني رسل الخلافة الثلاثة في البعثة⁽²²⁾ من حيث التسلسل البروتوكولي، عن شأن هذا المخلوق البشري الضخم قبل وصوله إلى أرض الصقالبة، فسأل الملك عنه. قال ابن فضلان: "وكان تكين حدثني أن في بلد الملك رجلاً عظيماً الخلق جداً، فلما صرت إلى البلد سألت الملك عنه، فقال: نعم، قد كان في بلدنا ومات، ولم يكن من أهل البلد ولا من الناس أيضاً"⁽²³⁾. وبهذا يتضح أن ابن فضلان هو من سأل الملك، وهو من تحرى عن حقيقة أمره، ولم يكن يروي ذلك عن أحد رسل الخلافة في بعثته، كما يفهم من عبارة القزويني⁽²⁴⁾. على أن الحموي نقل هذه الحكاية، التي سياتر اقتباسها في مصادر عدة بهذا البحث - من ابن فضلان بصيغة تختلف عن مخطوطة مشهد⁽²⁵⁾، كما تختلف أيضاً عما أورده معاصره القزويني المتأخر عنه وفاة بنحو خمسة عقود ونصف العقد،

أهل بلادنا...". وفي النسخة الخطية المحفوظة في المكتبة الدوقية في جوتا بألمانيا، برقم 1508، جاء التمهيد للنص (في الصفحة 105 ظ) كما يأتي، وفيه ما فيه من هفوات وقع فيها الناسخ عند النقل: "ذكر أحمد بن فضلان رسول المقتدر [الصواب: المقتدر] اني [الصواب: إلى] صاحب بلغار، قال بلغني أن عندهم رجلاً عظيماً الخلق، فسألت ملكهم عنه فقال إنه ليس من بلادنا...". والملاحظ أن اقتباس القزويني في هذه النسخة جاء كاملاً غير مختصر، بما فيه الحكاية الخرافية عن سمكة قوم يأجوج ومأجوج. (22) "رسالة ابن فضلان" - بتحقيق الدهان: ص 69.

(23) "رسالة ابن فضلان" - بتحقيق الدهان: ص 136. (24) وفي ما ذكره ابن فضلان عن أصل معرفته بقصة هذا المخلوق، فائدة مهمة للمعنيين برحلته، تكشف عن مدى استقصائه وتمنعه بميزة الفضول المعرفي، وسعيه لجمع كل ما أمكنه من معلومات عن البلاد التي يقصدها، للوقوف عليها، والإفادة منها في تجاوز بعض مصاعب الرحلة الشاقة الخطرة، وكذلك لتفحص ما يهيمه منها ميدانياً عند وصوله.

(25) وهذا قد يرجح إطلاع الحموي على نسخة أخرى من رحلة ابن فضلان غير التي نقل عنها ناسخ مخطوطة مشهد، التي تبدو مختصرة في مواضع كثيرة، وأصاها أكثر من سقط، ولا يمكن تفادي وصفها بالسقيمة.

أسبقية الدكتور مصطفى جواد ومحمد مراد الرمزي

وقد تنبّه شاكر لعبيبي في مقدّمته لـ "رحلة ابن فضلان" التي أصدرها سنة 2003، إلى نقول القزويني في كتابه "أثار العباد"⁽²⁸⁾، وذكر أنّ طبعته من الرحلة الفضلانية انفردت بهذا الكشف⁽²⁹⁾، وعدّ ذلك من فضائل هذه الطبعة⁽³⁰⁾، لكنّه لم يستقصِ محتوى كتاب القزويني الثاني الذي أشار إليه في المقدّمة، فلم ينتبه إلى أنّه نقل فيه من الرحلة أيضاً في موضع وحيد، كما قدّمت. على أنّ لنا كلاماً آخر على ما عدّه شاكر لعبيبي كشافاً لم يسبق إليه بشأن نقول القزويني في "أثار العباد"، ذلك أنّ أمر اقتباسه عن ابن فضلان معروف في العراق قبل أربعين عاماً في الأقلّ من صدور طبعة شاكر لعبيبي، وتفصيل ذلك أنّ الدكتور مصطفى جواد كان كتب عن ابن فضلان ورحلته مبحثاً مهماً لم يستند عليه كثير من الباحثين من أسف، مع أنّه منشور في كتاب مشترك

(28) تنظر: "رحلة ابن فضلان" - بتقديم شاكر لعبيبي وتحريره: ص 15-16، على أنّ لعبيبي ذكر في مقدّمته ثلاثة مواضع فقط نقل القزويني فيها من ابن فضلان، مع أنّها أربعة، لكنّه تدارك فيما بعد أمر الموضع الرابع، فذكره في الهامش رقم (335) من الصفحة 105، وإن لم يذكره في مقدّمته. ولعلّه يعيد نشر الكتاب ويصحّح ما اعتراه من هفوات وخطأ مطبعي.

(29) المصدر السابق: ص 16. وأنقل هنا نصّ عبارة لعبيبي بعد أن عرض ما عدّه كشافاً غير مسبوق: "وعلى أية حال فنحن أمام واقعة جديدة، ربّما فاتت على من عالج ابن فضلان ودرّسه، وهي أنّ القزويني، وليس ياقوت، لوحده، من يستخدمه، بصراحة، مرجعاً من مراجعه ويسمّيه باسمه ويعترف بالنقل عنه".

(30) المصدر السابق: ص 14. ونصّ عبارة لعبيبي: "هل كان ياقوت الأول والوحيد الذي يصرّح جهاراً بنقله عن ابن فضلان كما يقول د. الدّهان ويتابعه الجميع بعد ذلك؟ كلا. وهنا واحدة من نتائج بحثنا في رسالة ابن فضلان ومن فضائل طبعتنا الحالية هذه كما سنرى".

فقد قال الحمويّ في مادّة (إتل) من معجمه، مُنكراً الشّخصيّة التي أبلغت ابن فضلان بقصّة المخلوق الضّخم: "قرأت في كتاب أحمد بن فضلان بن العباس بن راشد بن حمّاد، رسول المقتدر إلى بلاد الصّقالبة، وهم أهل بلغار: بلغني أنّ فيها رجلاً عظيم الخلق جدّاً، فلما سرت إلى الملك سألتّه عنه، فقال: نعم، قد كان في بلادنا ومات، ولم يكن من أهل البلاد، ولا من الناس أيضاً..."⁽²⁶⁾.

وإذا صحّ هذا، فهو قد يعني أنّ الحمويّ لم يكن المصدر الذي نقل منه القزوينيّ هذه الحكاية، وهي معلومة ذات قيمة، وتكشف أنّ الأخير ربّما يكون اطّلع على نسخة أخرى من رحلة ابن فضلان، من بين النسخ العديدة التي يذكر الحمويّ صراحةً أنّه رآها⁽²⁷⁾.

(26) "معجم البلدان": ج1/ ص 87. وبعد أن سرد ياقوت باقي القصة، علّق على الجانب الأسطوريّ فيها، مبدياً تحفّظه بقوله: "هذا وأمثاله هو الذي قدّمت البراءة منه، ولم أضمن صحّته"، مع أنّ ابن فضلان حين نقل عن الملك الحكاية الأسطورية استخدم لفظة "زعم"، لتدلّ على تحفّظه هو الآخر.

(27) هذه عبارة ياقوت في "معجم البلدان": ج1/ ص 87: "وقصّة ابن فضلان وإنفاذ المقتدر له إلى بلغار مدوّنة معروفة مشهورة بأيدي الناس، رأيت منها عدّة نسخ، والقزوينيّ ممّن أدرك زمان ياقوت الحمويّ، فبين وفاتيهما 56 عاماً، فليس بمستغرب اطّلاعه على نسخة أخرى منها. وقد ناقش ذلك شاكر لعبيبي في مقدّمته لـ "رحلة ابن فضلان" التي أصدرها سنة 2003، حين عرض نقول القزوينيّ عن الرحلة في كتابه "أثار البلاد"، مرجّحاً اطّلاع الأخير على نسخة أخرى غير نسخة ياقوت، ولكنّه لم يوفّق في تحديد سنة وفاة القزوينيّ، فمرّة يذكر أنّها وقعت سنة 628هـ (وواضح أنّ هذا غلط مطبعي صوابه 682هـ)، وبعد أسطر يذكر أنّه توفي سنة 1261م، وهي لا تتوافق بحالٍ لا مع التاريخ الهجريّ الصحيح ولا مع الرقم الذي انقلب إليه بخطاً مطبعي. تنظر: "رحلة ابن فضلان إلى بلاد التّرك والرّوس والصّقالبة" [م]، أحمد بن فضلان، حرّرها وقدم لها: شاكر لعبيبي، دار السّويدي للنشر والتّوزيع - أبو ظبي، المؤسّسة العربيّة للدراسات والنّشر - بيروت، ط 1، 2003م: ص 16.

التأليف صدر ببغداد سنة 1963⁽³¹⁾، وقال فيه: "وممن ذكر هذه الرسالة الممتعة البارعة، والرحلة النافعة من قدماء الجغرافيين، عماد الدين زكريا بن محمد الأنصاري القزويني القاضي الفقيه العالم النبيه، المتوفى ببغداد سنة 682هـ=1283م. فقد نقل منها في كتابه «آثار البلاد وأخبار العباد». قال في الكلام على بلاد الروس والروس: "هم أمة عظيمة من الترك (كذا)⁽³²⁾ بلادهم متاخمة لبلاد الصقالبة.. قال أحمد بن فضلان في رسالته: رأيت الروسية وقد وافوا بتجاراتهم على نهر إتل، فلم أرَ أتم بدناً منهم، كأنهم النخل، شقراً بيض لهم شريعة ولغة مخالفة لسائر الترك، لكنهم أقدر خلق الله، لا يتنظفون ولا يحترزون عن النجاسات. ومن عادة ملكهم أن يكون في قصر رفيع كبير ومعه أربعمائة رجل من خواصه أهل الثقة عنده، يجلسون تحت سريره، وله سرير عظيم مرصع بالجواهر.."⁽³³⁾، وبعد أن يكمل مصطفى جواد الاقتباس، يردف بقوله: "ونقل منها في كلامه على الباشقرت أي الباشجرد، وعلى صقلاب"⁽³⁴⁾.

(31) هو كتاب "شخصيات القدر": الشخصيات العربية، اقتباس: الدكتور مصطفى جواد ويوسف مسكوني، والشخصيات الغربية، تأليف: دونالد كالروس بليتي، وترجمة: صائب أمين وعبد الصمد السامرائي وعلي الشوكي وفاروق محمد يوسف، مكتبة النهضة ببغداد بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، بغداد، 1963. ويتضمن الكتاب مبحثاً (في الصفحات: 67-72) بعنوان: "ابن فضلان الرسول السفير والسائح المرشد، كان حياً في سنة 309هـ=921م"، بقلم الدكتور مصطفى جواد. وهذا المبحث منشور في هذا العدد الخاص بابن فضلان من (المورد).

(32) التذكيرة للدكتور مصطفى جواد.

(33) "شخصيات القدر": ص72.

(34) المصدر السابق نفسه والصفحة نفسها. ويبدو أنه فات الدكتور مصطفى جواد الإشارة إلى نقل القزويني عن الرسالة عند كلامه على نهر جيحون. ولعله كان في موضع التمثيل لا الاستقصاء، فقد ختم هذه الفقرة والمبحث كله بقوله: "والرسالة كما ذكرنا مطبوعة متداولة، فلا نرى حاجة إلى أن ننقل منها أكثر مما نقلناه".

وقبل أن يتناول الدكتور مصطفى جواد نقول القزويني هذه من ابن فضلان بخمسة وخمسين عاماً، نص عليها الشيخ محمد مراد الرمزي، في كتاب ضخم بمجلدين أصدره بالعربية سنة 1908⁽³⁵⁾، وكشف هذا الباحث المستعرب، وأصله من مدينة قازان عاصمة تاتارستان (وهي الآن جمهورية ضمن روسيا الاتحادية) وأقام في الحجاز عقوداً، عن النصوص التي نقلها القزويني من ابن فضلان، لكنه أحال نصوصاً منقولة وردت في "آثار العباد" إلى "عجائب المخلوقات". فقد أحال الرمزي ما نقله القزويني من ابن فضلان بشأن بعض ما وصفه بالغريب من عادات الصقالبة في كتابه "آثار العباد"، إلى كتابه الآخر "عجائب المخلوقات"، فقال الرمزي عن القزويني، وأنقل هنا كلامه بنصّه على ما فيه: "قوله: ورأيت في بلده من العجايب ما لا أحصيها.. حكاية خرافية، وكنيت عنها بقولي منها كذا، وهي مع كونها خرافية نقلها في ترجمة عجائب المخلوقات عن أحمد بن فضلان على أنه رآها في بلاد بجنك لا في بلاد بلغار، كما أشرنا إلى ذلك عند ذكر بجنك، وكذلك أخذ القلنسوة من الرأس عند مرور الملك، وتعليق العاقل على الخشبة نسيها في الترجمة المذكورة إلى قوم آخر بجنب بلغار. وهالك تعريب عبارتها: وفي وراء بلغار قوم من الكفار إذا رأوا ملكهم يأخذون قلانسهم من رؤسهم، وإذا كان فيهم رجل عاقل نكي، يربطون الحبل برقبتة ويعلقونه على شجر، ويقولون: إنه يصلح لخدمة ربنا فيموت هناك. أ. هـ"⁽³⁶⁾.

ثم يعلق الرمزي على ذلك، وعلى ما نقله ياقوت الحموي من ابن فضلان بشأن اغتسال الرجال

(35) هو كتاب "تلفيق الأخبار وتلقيح الآثار في وقائع قزان وبلغار وملوك التتار"، من تأليف م.م. الرمزي، الناشر: اورنبرغ، طبع بالمكتبة الكريمة والحسينية، ط1، 1908م. يُنظر الجزء الأول منه: الصفحات: 288، 291، 231، 293.

(36) "تلفيق الأخبار وتلقيح الآثار": ج1/ص293.

نهر إتل...“⁽³⁹⁾. وهذه الحكاية أوردها القزويني في “عجائب المخلوقات” كما تقدّم، على أن الرّمزي لم يحلها في هذا الموضوع إلى أيّ من كتابيه. ولقد كنت ظننتُ ابتداءً أنّ الشّيخ الرّمزي قد وهم في إحالة بعض ما أورده القزويني في “آثار العباد” إلى كتابه الآخر “عجائب المخلوقات”، لكنّ تبين لي بعد التعمّق في دراسة هذه المسألة الشائكة، وبالرجوع إلى العديد من المصادر الخطيّة والأبحاث والدراسات، أنّ الرّجل لم يكن واحداً، وسأبين تفاصيل ذلك في موضع لاحق من هذا البحث، عند تناول الاقتباسات الموسّعة من نصّ ابن فضلان في مخطوطة “مرآة الكائنات” التي لا يُعرف اسم مصنّفها أو جامعها.

أربعة مصنّفات كوزموغرافيّة قديمة تقتبس نصوصاً لابن فضلان

كان لامتداد الإمبراطوريّة العربيّة الإسلاميّة في الاتجاهات الأربعة، وتشابك صلاتها على كلّ المستويات مع ما يتاخمها من امبراطوريّات وممالك وإمارات في حالات الحرب والسّلام، بعد اتساع فتوحاتها في قارات العالم القديم الثّلاث، وحاجتها إلى نظام إداريّ مُحكم يربط بين أجزاءها، ويحفظ ثغورها وحدودها، ويضمّن قوّتها وتماسكها، ويكشف عن مواردها، ويعظّم خراجها وجباياتها ومكوسها، ويؤمّن مسالكها وطرق بريدها وتجارتها، أثرٌ مباشرٌ في تزايد الاهتمام بعلم الجغرافيا، الذي أخذ بالتّطور منذ القرن الثّالث للهجرة، وشهد تحولاتٍ كبيرةً في القرن الرّابع وما بعده، مستفيداً من تراكم هائل في المعلومات عن أصقاع الأرض المختلفة، تجمّع بجهود علماءٍ ورخّالةٍ ومؤرّخين وسفراءٍ ومحاربين وتجارٍ وحجاجٍ ودعاةٍ وجواسيسٍ ومغامرين، ومن بعض ما تُرجم إلى العربيّة من التّراث اليونانيّ-الرّومانيّ والشرقيّ.

وقد حتمت ضرورات إدارة دواوين الدّولة على

(39) المصدر السّابق: ج 1/ص 271-270.

والنّساء من الصّقالبة في النهر معاً وهم عراة، بقوله: “إنّ أهل بلغار لما أسلموا كيف يفعلون ما يغيّر الشّريعة ولا سيما أنّ الإسلام فيهم غصّ طريّ؟ والظاهر أنّ هذا القوم هم الجواش، والقصور في نقل الحمويّ. وظنّي أنّ اختلاط النّساء بالرّجال وقت الاغتسال لا تناسب المسلمين، خصوصاً عند كون الإسلام عندهم أعزّ وألذّ من كلّ شيء، والله سبحانه أعلم بالصّواب”⁽³⁷⁾. وتنبغي هنا ملاحظة أنّ تاريخ طبع كتاب الرّمزيّ كان سنة 1908م، أي قبل العثور عن نسخة مشهد بستة عشر عاماً. وقد تبين - بعد العثور عليها وطبعها - أنّ ما نقله الحمويّ من ابن فضلان كان صحيحاً، وليس فيه قصور كما رجّح الرّمزيّ، الذي ربّما دفعته عاطفته الدّينيّة لقول ما قال عن أسلاف مسلمي الصّقالبة في تلك الأرض، التي أصبحت فيما بعد وإلى اليوم وطناً للثّتر المسلمين، ومنهم الشّيخ الرّمزيّ.

ويُنقل الرّمزيّ، في موضع ثانٍ من كتابه، اقتباس القزويني في “آثار العباد” عن ابن فضلان بشأن الباشغرت، ويحيله أيضاً إلى كتاب “عجائب المخلوقات”، فيقول: “قال القزويني في عجائب المخلوقات: باشغرت جبل عظيم من التّرك بين القسطنطينيّة وبلغار. حكى أحمد بن فضلان رسول المقتدر بالله إلى ملك الصّقالبة (يعني البلغار) لما أسلم فقال عند ذكر باشغرت: وقعنا في بلاد قوم من التّرك...“⁽³⁸⁾.

وقال الرّمزيّ في موضع ثالث من كتابه مشيراً إلى واحد من نقول القزويني عن ابن فضلان: “قلت: ويشبه هذه الحكاية ما رواه القزويني أيضاً عن ابن فضلان، ونصّه: حكى أحمد بن فضلان رسول المقتدر من خلفاء بني العبّاس إلى بلغار، قال لما دخلت بلغار، سمعت أنّ عندهم رجلاً عظيماً في الخلق، فسألته الملك عنه، فقال: نعم، ما كان من بلادنا، ولكن من خبره أنّ قوماً خرجوا إلى

(37) المصدر السّابق نفسه والصّفحة نفسها.

(38) المصدر السّابق: ج 1/ص 231.

الخلفاء، والوزراء، والولاة، وقادة الجيش، وأمراء البحر، وحكام المقاطعات، والمسؤولين عن بيت المال ونظم الضرائب والخراج والبريد والمكوس والشرطة والتجارة، والقائمين بمهام الحج وتأمين الثغور ومفاداة الأسرى وإبرام المعاهدات، والمبعوثين إلى ملوك الأرض وغيرهم، رعاية هذا النشاط العلمي المحموم، وتشجيع الكتاب على جمع المعلومات وترتيبها وتنسيقها وتدقيقها وتحديثها؛ ليتمكن الاستناد عليها في تسيير أعمالهم، وتنظيم شؤون الدولة المترامية الأطراف، فظهرت تباعاً كثيراً من المصنّفات العلميّة القيّمة، التي ظلّت مصادر لا غنى عنها طوال القرون الوسطى وما بعدها، حتّى بلغ علم الجغرافيا في القرنين الخامس والسادس وأوائل القرن السابع للهجرة، ذروة عالية من التطور على أيدي عدد من العلماء الأفاضل.

وعلاوة على هذا كلّه، كان شغف الناس من مختلف الطبقات بسرد عجائب الكون، وجمع الأخبار والمرويّات والقصص والأساطير المتعلقة بالأجرام والظواهر الغيبية وتأثيراتها، وغرائب العالم الذي يجهلون حدود عامره وغامره، ببحاره وجزره وجباله ووديانه ومفازاته وأنهاره، وبما فيه من أقاليم وبلاد قريبة وبعيدة، وفضولهم إلى معرفة غير المألوف من طبيعتها ومناخها وتضاريسها، وخواص أحجارها ومعادنها والغريب والتأثر من حيوانها ونباتها، وما تضمّ من مدن وأثار وشواخص العمران المحيرة للعقول، وأحوال سكّان الأوصاع النائية وأنماط حياتهم وملبسهم ومأكلهم وصناعاتهم وتجارتهم، وطرق مواصلاتهم.. أقول: كان هذا دافعا لعدد من المؤلّفين من ذوي الاهتمامات المختلفة مع الإلمام بعلم الجغرافيا، إلى وضع مصنّفات كوزموجرافية تلبّي هذا الشغف المتزايد والفضول المعرفي الذي يتساوى فيه الحكّام والمحكومون، مع ميل كبير منهم إلى الإبهار في إظهار الجانب العجائبي، الذي يفسّر تركيز هؤلاء المصنّفين عليه مدى الإقبال على نماذج.

والكوزموجرافيا Cosmography علم وصف الكون، وهو "مصطلح قديم يشتمل الجغرافيا بأوسع معانيها، بل إنّه يعني- في الواقع- الكتابة عن الكون من وجهة نظر جغرافية"⁽⁴⁰⁾.

وقد تبلور الإطار العام لهذا الفنّ الكتابي في القرن السادس للهجرة⁽⁴¹⁾، وتواصل بعده بقوة- كما سنرى- ظهور كتب عديدة على أيدي مصنّفين تباينت مواهبهم ودرجة إبداعهم وقدراتهم على توظيف تراث عربيّ ثرّ في ميدان كتب العجائب⁽⁴²⁾، فضلاً عمّا تزخر به كتب الرّحالة من مقاطع وشذرات، حتّى بلغ هذا الفنّ ذروته منهجاً وتبويباً وإضافات على يد القزويني في كتابه "عجائب المخلوقات". وكان من السائد أن يأخذ بعض متأخري هؤلاء المصنّفين عن متقدّمهم كثيراً من هذا مادّتهم والإطار العامّ لمنهجهم، ولم ينبج من هذا حتّى القزويني، فتشابهت نسبة من هذه الكتب في تبويبها، وسطا بعض منهم على جهود بعض فانتحل لنفسه منها أبواباً وفصولاً عديدة، ولعلّ

(40) "الجغرافية عند العرب"، شاكر خصباك، المؤسسة

العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1986:ص93.

(41) "يرى محرّرو دائرة المعارف الإسلاميّة، أنّ كتاب "تحفة الألباب" الذي ألفه أبو حامد الأندلسي سنة 557هـ (=1162م)، هو "أول كتاب يعدّ من صميم الكتب التي تدرس علم الكون". يُنظر: "موجز دائرة المعارف الإسلاميّة"، تحرير: م. ت. هوتسما، ت. و. أرنولد، ر. باسيت، ر. هارتمان؛ إعداد وتحرير: إبراهيم زكي خورشيد، أحمد الشنتناوي، عبد الحميد يونس، مركز الشارقة للإبداع الفكري، الشارقة، الإمارات العربيّة المتّحدة، ط1، 1998م: ج10/ص3044.

(42) أورد د. محمد باقر علوان قائمة طويلة بأسماء الكتب التي عني مؤلّفوها بعجائب الحيوان في التراث العربي، منذ مطلع القرن الثالث حتّى نهاية القرن الحادي عشر للهجرة، وبيان ما فقد منها وما نجا من محن هذه القرون التسعة وخطوبها، وما طبّع منها أو ترجم قديماً أو حديثاً، وما ظلّ حبيس خزائن المخطوطات. وهو جهد بحثي مشكور في وقته، وإن اعتراه نقص وهفوات. تُنظر مقالته: "كتب عجائب المخلوقات في الأدب العربي"، مجلة (المورد): مج3، ع2 سنة 1974: ص242-235.

قراءته وإطلاعه الشَّخصي، ويقتضيها هدفه من تصنيفه، ورغباتُ الشَّخصية المهدى الكتاب إليها أو التي كلَّفته تصنيفه، وزمنُ تأليفه، واهتماماتُ متلقيه، والبلادُ التي ينتمي إليها أو اتخذها وطناً، والتي يحاول أحياناً أن يبرز بعض ما انفردت به من عجائب. مع ما يمكن أن تكون له من تجاربٍ ورحلاتٍ ومشاهداتٍ، أو قراءةٍ أو سماعٍ من رحالة طافوا الأقطار والبحار، ليضفي على كتابه بعضُ الجدة والتَّمييز على مَنْ سبقه. ولذلك فلن يكون من المجدي مقارنة نصٍّ أيٍّ منها مع النصِّ الأصلي لابن فضلان، ولكن يمكن لدراسة متخصصة لاحقة تتبَّع تحولاتِ النصِّ الفضلانيِّ في كتب العجائب، بعد الكشف عمَّا يمكن أن تحتويه مخطوطات أخرى لم أستطع الوصول إليها، وما طرأ على تحريره لدى هؤلاء الكتاب من تغييرات واختصار وحذف وتعديل، بحسب السَّمات اللُّغويَّة في كلِّ عصر، وثقافة كلِّ كاتب منهم، وميول جمهوره.

وأشير هنا إلى أنَّ اقتباس سراج الدِّين ابن الوردِيِّ في "خريدة العجائب"، كان أول ما اكتشفته من نصوص ابن فضلان المستقاة في هذه الكتب الأربعة، وإذ لم يكن قد تكشَّف لي بعدُ ما استقاه المصنِّفون الآخرون، ودرجة التَّشابه الكبيرة بين كتبهم وكتاب القزوينيِّ تبويباً ومادَّةً، فقد كنتُ أجريتُ مقارنةً بين نصِّ ابن الوردِيِّ هذا من جهة، وبين النصِّ نفسه الوارد في "عجائب المخلوقات" للقزوينيِّ، و"معجم البلدان" للحمويِّ من جهة أخرى. ورأيتُ أنَّ الإبقاء على هذه المحاولة لا يخلو من فائدة، على الرَّغم من أنَّه ثبت أنَّ مصنِّفي هذه الكتب ينقل متأخِّرهم عن متقدِّمهم معظم مادَّته، ويضيف إليها من عنده نسبةً ما، تتفاوت بحسب اجتهاده وقدرته على الابتكار، وقد ما تمليه عليه توجَّهات عصره وميول قرَّائه واهتماماتهم.

1 - الحرَّانيُّ ثالث مؤلِّف عربيٍّ قديمٍ يقتبس من نصِّ ابن فضلان الرِّحليِّ
تحتفظ المكتبة الوطنيَّة الفرنسيَّة في باريس،

بعض النَّسَخ والوراقين فعل مثل هذا، ووضع أسماءً لها بريقها لدى جمهوره القراء، على بعض المخطوطات المنتحلة؛ لترويج بضاعته.

إنَّ ما يهمني من هذه المصنِّفات الكوزموجرافيَّة، هو عثوري على أربعة نماذج، منها اثنان مطبوعان واثنان لا يزالان مخطوطين، اقتبس أحد هذه المصادر - هو كتاب "مرآة الكائنات" - أربعة من نصوص ابن فضلان، واشترك مع المصادر الثلاثة الأخرى كلها في اقتباس نصٍّ آخر له، تكرر فيها جميعاً منسوباً إليه بصيغٍ تحريير متباينة، وفي الفصل نفسه من كلِّ مصنِّف. وهذا النصُّ هو نفسه الذي ورد في كوزموجرافيا القزوينيِّ الموسوم بـ "عجائب المخلوقات" عن الكائن البشريِّ الضَّخم في نهر إتل، الذي سبق أن عالجتُه في موضع سابق من هذا البحث. إذن نحن بإزاء سلسلة كتب تأخذ من بعضها البعض نسبةً متفاوتةً من مادَّتها، ولأجل ذلك تكرر ورودُ ذلك النصِّ الفضلانيِّ فيها. وهذه هي الكتب مرتَّبة على وفق وفيات مؤلِّفيها أو الزَّمن المفترض لتدوينها.

1 - "جامع الفنون وسلوة المحزون"، لابن شبيب الحرَّانيِّ.

2 - "خريدة العجائب وفريدة الغرائب" لابن الوردِيِّ.

3 - "مرآة الكائنات شرح عجائب المخلوقات" لكاتب مجهول.

4 - "نشق الأزهار في عجائب الأقطار" لابن إياس الحنفيِّ.

وإذ كنتُ تناولتُ احتمالات نقل هذا النصِّ عند القزوينيِّ - بوصفه المصدر الأوَّل لهذه الكتب الأربعة - من "رسالة ابن فضلان" أو من "معجم البلدان"، فلن أتوقَّف هنا أمام المصدر الذي نقل منه مؤلِّفو هذه الكتب، ذلك أنَّها جاءت على سمت المصنِّفات الكوزموجرافيَّة التي ينقل متأخِّرو مصنِّفيها معظم مادَّتهم من كتب المتقدِّمين، كما سبق أن بيَّنت، مع إضافات يحتمُّها مستوى ثقافة المصنِّف، ونمط اهتماماته، ومدى اتِّساع

بنسخة خطية من كتاب بعنوان "جامع الفنون وسلوة المحزون"⁽⁴³⁾، وبالإطلاع على الكتاب ظهر أنه أحد المصنّفات الكوزموغرافية، غير أن مؤلفه- غير المدون اسمه على المخطوطة- كان ذا نزعة أدبية غالبية، فقد ضمّ إليه كثيراً من منظوم القول ومنثوره. وقد رجّحت من موضوعه أن يحتوي على نصّ مقتبس من ابن فضلان، وقد صدق ترجيحي، فقد وجدت مؤلفه يورد في الصّفحة (103و) حكاية الكائن البشريّ الضخم في نهر إتل التي قصّها ملك الصّقالبة على ابن فضلان، كما فعل القزويني من قبل في "عجائب المخلوقات" الذي كان أحد مصادر هذا الكتاب، المنصوص عليها في مقدّمته.

ذكر حاجي خليفة كتاب "جامع الفنون وسلوة المحزون"، وقال إنه "لابن شبيب الحرّانيّ الحنبلي"⁽⁴⁴⁾. ويقال له: جامع العلوم المار ذكره آنفاً⁽⁴⁵⁾. وكان قد قال عن كتاب "جامع العلوم" هذا، في موضع سابق من كتابه، إنه "لابن شبيب الحرّانيّ الحنبليّ، نجم الدّين، أحمد بن حمدان بن شبيب"⁽⁴⁶⁾، المتوفى سنة 695⁽⁴⁷⁾.

(43) برقم (2323 - عربي)، ولم يُذكر فيها اسم المصنّف، وهي تقع في (152 ورقة)، ويرقى تاريخ نسخها إلى القرن العاشر للهجرة.

(44) وثمة كتاب آخر بالعنوان نفسه، نسبه ابن العديم إلى ابن الطّحان، قال: "قرأت في كتاب جامع الفنون وسلوة المحزون في ذكر الغناء والمغنين"، تأليف أبي الحسين بن الطحان في باب ما مدح به المغنون في زماننا هذا- يعني زمانه-.. يُنظر: "بغية الطّلب في تاريخ حلب"، لعمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة العقيليّ، كمال الدّين ابن العديم، تحقيق: د. سهيل زكار، دار الفكر، بيروت، (ب.ت): ج/10 ص/4624.

(45) "كشف الظّنون": ج/1 ص/569.

(46) ترجمته في "الأعلام": ج/1 ص/119. وقال الزّركليّ فيها إنه "أحمد بن حمدان بن شبيب بن حمدان النّميريّ الحرّانيّ، أبو عبد الله: فقيه حنبليّ أديب، ولد ونشأ بحرّان، ورحل إلى حلب ودمشق، وولي نيابة القضاء في القاهرة، فسكنها وأسّر وكفّ بصره. وتوفي بها". وذكر أنّ له كتاباً مخطوطاً بعنوان "جامع الفنون وسلوة المحزون".

(47) "كشف الظّنون": ج/1 ص/569.

وفي مطلع القرن الماضي، ذكر عيسى إسكندر المعلوف أنه يحتفظ بنسخة خطية من هذا الكتاب، وقال عنها: "كتاب (جامع الفنون وسلوة المحزون) لابن شبيب الحرّاني المتوفى سنة 695هـ (1295م)، من نوادر مخطوطات مكتبتي، ونسخه عزيزة الوجود"⁽⁴⁸⁾.

غير أنّ الشك تطرّق إلى نفسي من نسبة حاجي خليفة، ومن بعده المعلوف⁽⁴⁹⁾، كتاب "جامع الفنون وسلوة المحزون" لمؤلف توفي سنة 695هـ، ذلك أنّني قرأت في مخطوطة الكتاب إشارة تاريخية تمنع من ذلك، فقد قال المصنّف: "وجاءت زلزلة بمصر في سنة أحد [كذا] وسبعمائة، أخرجت قرى كثيرة وأهلكت خلقاً كثيراً"⁽⁵⁰⁾. فهذه الزلزلة حدثت بعد ستة أعوام من وفاة المصنّف المنسوب له الكتاب، ما يسقط هذه النسبة المزعومة، ويجعلها غير ذات قيمة.

وكانت إشارة حاجي خليفة لـ "جامع العلوم" دافعاً للتحرّي عن هذا الكتاب، طمعاً في معرفة مؤلفه، لحسم نسبة كتاب "جامع الفنون وسلوة المحزون" إلى كاتبه الحقيقيّ، وبعد البحث عن كتاب مماثل لمصنّف حرّانيّ حنبليّ، عثرت على نسخة خطية للجزء الثامن من كتاب بعنوان

(48) تُنظر مقالته "الخرافات والأوهام"، المنشورة في مجلة (المقتبس) الدمشقية: الجزء 9 المجلد 8 الصادر في 1 أيلول (سبتمبر) 1913: ص835.

(49) وقال بذلك، أيضاً، د. محمّد باقر علوان وهو يحصي قائمة طويلة بكتب عجائب المخلوقات في التّراث العربيّ منذ القرن الثالث للهجرة: "وكتب نجم الدّين أحمد بن حمدان بن شبيب الحرّانيّ الحنبليّ.. كتابا بعنوان «جامع الفنون وسلوة المحزون»، ويُسمّى أيضاً «جامع الفنون» على وجه الاختصار". تُنظر مقالته: "كتب عجائب المخلوقات في الأدب العربيّ"، مجلة (المورد): مج3، ع2 سنة 1974: ص241.

(50) "جامع الفنون وسلوة المحزون"، مخطوطة المكتبة الوطنية الفرنسية، محفوظة برقم 2323-عربي: ص (43و).

البغدادي (431-513هـ)، وهو يعدّ من كبار علماء الحنابلة في القرن الخامس وأوائل القرن السادس للهجرة، نُقل عن الذهبي أنّ أجزاء هذا الكتاب بلغت 470 مجلداً، ويُقال إنه يقع في 800 مجلداً⁽⁵⁴⁾، لم يبقَ منها سوى مجلد واحد منسوب لغير مؤلفه ويعنوان مختلف، كان محفوظاً في المكتبة الوطنية بباريس (برقم -787 عربي)، وكشف عنه النقيب الدكتور مصطفى جواد في أثناء دراسته الدكتوراه في السوربون -1934 1939⁽⁵⁵⁾. ويبدو أن الشيخ الحنبلي ابن عقيل، ألهم نور الدين، أبا الحسن، علي بن عبد الرحمن بن شبيب الحراني الحنبلي، تأليف كتاب مماثل له، فجعل عنوانه صدى لعنوانه، بإضافة لفظة "جامع" إليه.

وقد قرأت الجزء الثامن من مخطوطة "جامع الفنون"، متتبّعاً أية أدلة تاريخية دامغة على زمن تأليف هذا الجزء، وبحثاً عن أية إشارات عن حياة المؤلف ومصنّفاته الأخرى، وتكشفت لي حقائق مهمة وذات فائدة، أعرضها في ما يأتي.

صُدّرت مخطوطة "جامع الفنون" في جزئها الثامن، بديباجة من بضعة أسطر، ثمّ تلتها مسألة، ففوائد، فلطائف. وفي الصفحة (54ظ) من المخطوطة "نبذة من حوادث السنين"، تبدئ بسنة 689هـ، قال فيها المصنّف: "توفي السلطان الملك المنصور قلاون، رحمه الله تعالى، يوم السبت سبع ذي القعدة بالريديانية. وكنتُ ذلك اليوم بالوطاق قريب [كذا] من الدهليز، وفي هذا اليوم ولي ولده الملك الأشرف السلطنة". وواقعة وفاة السلطان المنصور قلاوون وولاية ابنه، مطابقة لما

(54) "كتاب الفنون لابن عقيل"، د. مصطفى جواد، "مجلة المجمع العلمي العربي" الدمشقية: مج 29، ع 1، الصادر في كانون الثاني (يناير) 1954: ص 38-39.
(55) يُنظر المصدر السابق: ص 39، وكذلك مقالة جليل العطيّة: "مصطفى جواد عاشق المخطوطات العربية"، المنشورة في جريدة "الشرق الأوسط" اللندنية، ع 9494 الصادر يوم الخميس 25 تشرين الثاني (نوفمبر) 2004م.

"جامع الفنون"⁽⁵¹⁾ لمؤلف من الأسرة نفسها، وجاء اسمه على صفحة الغلاف كالاتي: "تأليف الشيخ الإمام المتقن المفنّن، نور الدين أبو الحسن علي بن عبد الرحمن بن شبيب الحراني الحنبلي".

وذكر عمر رضا كحالة هذا المصنّف، باسمه هذا كاملاً، مبيناً أنه "أديب، مُتطبّب كان حياً 747هـ (1346 م) من آثاره: جامع الفنون"⁽⁵²⁾. واستقى كحالة معلوماته من ابن حجر العسقلاني، وأضاف العسقلاني معلومة ذات قيمة كبيرة، وهي أنّ المؤلف "ابن بنت الشيخ نجم الدين أحمد بن حمدان عم والده عبد الرحمن، سمع من جدّته وسمع منه إبراهيم ابن أقوش سنة 747 بالقاهرة"⁽⁵³⁾.

وبذلك يتّضح أنّ نور الدين، أبا الحسن، علي بن عبد الرحمن بن شبيب الحراني الحنبلي، هو سبط من نسب إليه حاجي خليفة الكتاب. وتبقى إشارة العسقلاني إلى كتاب "جامع الفنون"، غير واضحة بما يكفي، فهل يعني به كتاب "جامع الفنون وسلوة المحزون" الكتاب الكوزموغرافيّ ذا الجزء الواحد، أم يعني به "جامع الفنون" الكتاب ذا الأجزاء العديدة؟

ويبدو أنّ "جامع الفنون" ذا الأجزاء - وهو مجموع أدبيّ عامّ، مزج فيه مؤلفه بين سرد الوقائع والأخبار، والقصص المثيرة، والأشعار، والنوادر اللغوية، ومذكراته الشخصية، وبين الوعظ والتفسير والفقه والتاريخ - جاء على سمت كتاب "الفنون" لأبي الوفاء علي بن عقيل الحنبليّ

(51) "جامع الفنون" (الجزء الثامن)، لنور الدين أبي الحسن علي بن عبد الرحمن بن شبيب الحراني الحنبليّ، مخطوطة المكتبة الأزهرية: خاص (3475) عام (7885) [ناقصة الآخر]، [132 ورقة].

(52) "معجم المؤلفين"، عمر رضا كحالة، مكتبة المثنى، ودار إحياء التراث العربي - بيروت (ب ت): ج 7/ص 120.
(53) "الدّرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة"، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد، ابن حجر العسقلانيّ، تحقيق محمد عبد المعيد خان، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الهند، ط 2، 1972م: ج 4/ص 69-70.

أورده ابن تغري بردي في تاريخه من أحداث سنة 689هـ⁽⁵⁶⁾.

وقال المصنّف، في الصّفحة نفسها، عن حوادث سنة 690هـ: "وفيها حلف الأمراء لمولانا السلطان الملك الناصر بن السلطان الملك المنصور قلاون، ثبتّ الله دولته". وهذا نصّ يؤكّد أنّ تاريخ كتابة هذا الكلام كان في عهد ولاية الملك الناصر المتوفّي سنة 741هـ⁽⁵⁷⁾؛ لقوله "ثبتّ الله دولته"، وهذا دعاء لا يُقال إلاّ للملك حيّ. علما بأنّ كتابة هذه النّبذة انتهت بالصّفحة (56و)، عند حوادث سنة 708هـ التي لم يدوّن من وقائعها شيئاً، وبعدها نصف صفحة فارغة. أيّ أنّ تاريخ كتابة هذه النّبذة وقع سنة 708هـ.

وأرّخ المصنّف في الصّفحة (55و) ضمن حوادث سنة 695هـ، واقعة وفاة جدّيه العلّمين كليهما، وكانت سنة مجاعة وفناء، قال: "وفيها مات جدّي القاضي نجم الدين بن حمدان، وجدّي الشّيخ تقيّ الدين شبيب، رحمهما الله تعالى". وقد نسب حاجي خليفة كتاب "جامع الفنون وسلوة المحزون"، لجدّه لأمه منهما، وهو القاضي نجم الدين بن حمدان.

وقال المصنّف في الصّفحة نفسها عن حوادث سنة 700هـ: "فرجع السلطان الملك الناصر إلى مصر في العساكر، فقدم عليه الشّيخ الإمام تقيّ الدين بن تيمية، رحمه الله تعالى، من دمشق على خيل البرد؛ ليحفّز السلطان والأمراء على التّوجّه إلى لقاء العدو". وقوله: (رحمه الله)، يعني أنّ المصنّف دوّن هذا الكلام بعد وفاة الشّيخ ابن تيمية، المتوفّي يوم 20 ذي القعدة من سنة 728هـ⁽⁵⁸⁾.

وعلى هذا ثبت أنّ نسبة حاجي خليفة الكتاب

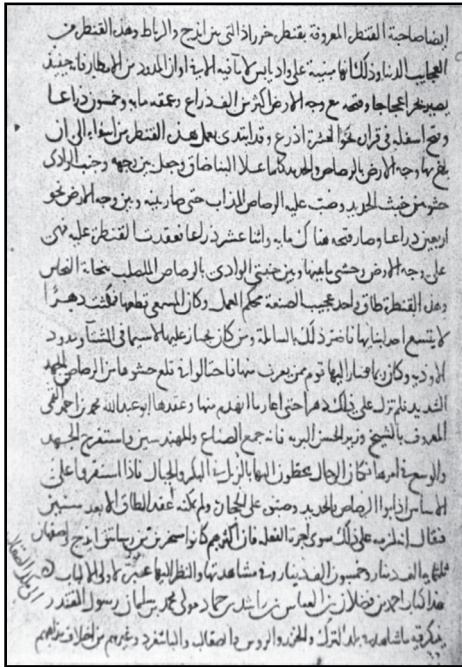
الكوزموغرافيّ "جامع الفنون وسلوة المحزون" لابن شبيب الحرّانيّ الحنبليّ، نجم الدّين، أحمد بن حمدان بن شبيب، المتوفّي سنة 695هـ غير صحيحة، وأنّ مؤلّفه الحقيقيّ إنّما هو سبطه نور الدّين، أبو الحسن، علي بن عبد الرّحمن بن شبيب الحرّانيّ الحنبليّ، الأديب المتطبّب، المتوفّي بعد سنة 747هـ، كما نصّ على ذلك ابن حجر العسقلانيّ، وأنّ علي بن عبد الرّحمن بن شبيب الحرّانيّ الحنبليّ هو نفسه مؤلّف كتاب "جامع الفنون"، ذي الأجزاء الثمانية في الأقلّ، الذي سمّاه حاجي خليفة "جامع العلوم" ونسبه لجدّه وإماماً.

وكنّت قرأت في بعض مواقع الشّبكة العالميّة نبأ صدور طبعة محقّقة من كتاب "جامع الفنون وسلوة المحزون"⁽⁵⁹⁾، وقد رغبت في الاطلاع عليها للوقوف على الكيفيّة التي حسم بها المحققان عائديّة تأليف الكتاب إلى الحرّانيّ السّبط. وبعد تقصّ طويل وغير مجدّ عن الكتاب في الأسواق وعند الأصدقاء، كاتبت الأخّ الباحث الدكتور فاروق اسليم بشأنه، فبادر وأرسل لي مشكوراً مقدّمتهما للكتاب، وموضع اقتباس مصنّفه من ابن فضلان. وتبيّن أنّ المحقّقين الفاضلين اعتمدا على نسختين خطيّتين في تحقيق الكتاب، ليست بينهما النسخة الخطيّة الباريسيّة التي اعتمدتها، وأنّهما بذلا جهداً كبيراً في دراسته وتحقيقه، ونسباه إلى مؤلّفه الحقيقيّ، وتتبعاً تاريخ أسرته وجدّيه، مصوّبين في مقدّمتهما الضافية ما وقع فيه بعض المستشرقين والكتاب العرب القدامى والمحدثين، من أخطاء في نسبة الكتاب للحرّانيّ الجدّ. وقد توصّلا إلى النّتيجة نفسها التي وصلت إليها. على أنّهما لم يطلعا على

(59) صدرت سنة 2015م، عن هيئة (أبو ظبي) للسياحة والتّثافة، بتحقيق د. فاروق اسليم و د. فاطمة البريكي. وسبق أن نشر باحث أكاديميّ ليبيّ بجامعة الفاتح، جزءاً من المخطوطة محقّقاً، بعنوان: "جامع الفنون وسلوة المحزون لأبي شبيب الحرّانيّ نجم الدّين أحمد حمدان بن شبيب المتوفّي 695هـ": دراسة وتحقيق من أوله حتى نهاية المقالة الثانية: مصطفى رجب الخميري؛ بإشراف: عبد الله محمّد الرّيّات. لكنّي لم أف على هذه النّشرة.

(56) "النجوم الزّاهرة في ملوك مصر والقاهرة"، أبو الحسن جمال الدين يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظّاهريّ الحنفيّ، وزارة التّثافة والإرشاد القوميّ، دار الكتب، القاهرة (ب ت): ج7/ص383.
(57) "النجوم الزّاهرة": ج9/ص325.
(58) "النجوم الزّاهرة": ج9/ص271.

بالقرب منا، [فلا مقام لنا⁽⁶⁴⁾]. فركبت معهم⁽⁶⁵⁾، فإذا أنا برجل⁽⁶⁶⁾ طوله اثنا عشر ذراعاً [في الأصل: ذراع]، ورأسه كأكبر ما يكون من القُدور، وزوايقه [كذا⁽⁶⁷⁾] أطول من شبر، وعيناه عظيمتان [في الأصل: عظيمان]، وأصابه طول كل واحدة شبراً⁽⁶⁸⁾، فأخذنا نكلّمه وهو لا يزيد على النظر إلينا. فحملته إلى مكاني وكتبت إلى أهل ويسو، وبيننا وبينهم ثلاثة أشهر، فعرفوني أنّ هذا الرجل من يأجوج ومأجوج، وقالوا: إنّ البحر يحول بيننا وبينهم. فأقام عندنا [في الأصل: عندنا] مدة، ثم أصابته علّة، فمات.“



صورة ص 103 (و) من مخطوطة «جامع الفنون وسلوة المحزون» المحفوظة بالمكتبة الوطنية الفرنسية برقم 2323-عربي.

- (64) التكملة من الطبعة المحققة: ص 284، ويقتضيها السياق.
 (65) وفي الطبعة المحققة زيادة هنا: «حتى صرت إلى النهر». تنظر: ص 284 منها.
 (66) وفي الطبعة المحققة من الكتاب: «وإذا رجل». تنظر: ص 284 منها.
 (67) وفي الطبعة المحققة: «ورأسه»، وهو الصواب. تنظر: ص 284 منها.
 (68) وفي الطبعة المحققة: «وكل أصعب شبر». تنظر: ص 284 منها.

النسخة الخطيّة من كتاب «جامع الفنون» في جزئه الثامن، التي تصيف مصنفاً جديداً للحرّاني السبّط، وتسلّط بعض الأضواء على حياته المجهولة. ومع أنّ المحقّقين الفاضلين عادة إلى رسالة ابن فضلان في النّصّ المقتبس منه، وأحالا عليها في الهوامش، إلا أنّهما لم يتنبّها إلى أهميّة نقل الحرّاني في كتابه هذا من ابن فضلان، ولم يتوقفاً أمام هذا الاقتباس المهمّ الذي أصبح الحرّاني بموجبه ثالث المقتبسين- من المؤلّفين العرب القدامى- نصّاً له مع الإحالة عليه، ولينضمّ إلى قائمة محدودة جداً من هؤلاء المؤلّفين الذين تعاملوا مع نصّ ابن فضلان الرّحلي، تالياً لياقوت الحموي والقزويني، وسابقاً على من كشفنا النقاب عنهم في هذا البحث.

نص اقتباس «جامع الفنون وسلوة المحزون» من ابن فضلان

قال نور الدّين، أبو الحسن، علي بن عبد الرّحمن بن شبيب الحرّاني الحنبلي، في الصّفحة (103و) من كتابه «جامع الفنون وسلوة المحزون»، بحسب النسخة الباريسيّة المشار إليها، وأشار هنا إلى أنّي أدرجت ملاحظاتي في ما بين معقوفين:

«وفي هذا النهر حيوانات عجيبّة. حكى أحمد بن فضلان رسول المقتدر إلى بلغار، قال: لما دخلت بلغار، سمعت أنّ عندهم رجلاً [في الأصل: رجل] عظيم الخلق، فسألته الملك عنه⁽⁶⁰⁾، فقال: نعم، ما كان من بلادنا، [ص 103و] وإنّما قوم خرجوا إلى نهر إتل [في الأصل: ايل] وكان قد كان [كذا] مدّ وطغى، فقالوا: أيّها الملك، قد طغا⁽⁶²⁾ على الماء رجل [في الأصل: رحل] إن [كان⁽⁶³⁾] من أمّة

- (60) في الطبعة المحققة من «جامع الفنون وسلوة المحزون»: «عنهم». تنظر: ص 284 منها. وما في نسختي أصوب.
 (61) وفي الطبعة المحققة من الكتاب: «وإنما كان». تنظر: ص 284 منها.
 (62) الصواب: (طفا). كما في الطبعة المحققة: ص 284.
 (63) التكملة من الطبعة المحققة: ص 284، ويقتضيها السياق.

2 - ابن الوردی رابع المقتبسین نصاً لابن فضلان من قدامی المؤلفین

وصف حاجي خليفة كتاب "خريدة العجائب وفريدة الغرائب" لابن الوردی، بأنه "مجلد أوله في ذكر الأقاليم والبلدان، والباقي في بعض أحوال المعدن والنبات والحيوان"⁽⁶⁹⁾.

وذكر يوسف إلیان سرکيس أن المستشرقين اهتموا بـ "خريدة العجائب وفريدة الغرائب"، فطبعت (أو أقسام منها) مع الترجمة إلى اللاتينية، كما طبعت عدة مرات في المطابع العربية بالقاهرة مبكراً في سني الطبع الحجري، ثم بالمطابع الأحدث التي أخذت تعتمد الطبع بالحروف⁽⁷⁰⁾. والملاحظ أن هذه الطبعات (في أوروبا ومصر) نسبت الكتاب غالباً لأبي حفص زين الدين عمر بن المظفر بن الوردی، الفقيه المؤرخ الشاعر (المولود بمصر سنة النعمان سنة 691هـ=1292م، والمتوفى بطاعون حلب سنة 749هـ=1349م)، صاحب المؤلفات العديدة، ومنها: ديوان شعر مطبوع، و"تتمة المختصر" جعله ذليلاً لتاريخ أبي الفداء، ويعرف بتاريخ ابن الوردی، وهو صاحب اللامية التي أولها: "اعتزل ذكر الأغاني والغزل"⁽⁷¹⁾. وكذلك نسبه حاجي خليفة في "كشف الظنون"، وتبعه يوسف إلیان سرکيس "معجم المطبوعات العربية والمعربة".

وبين ابن الوردی في مقدمته عن دواعي تأليف كتابه، أنه جاء تلبية لرغبة نائب السلطان في حلب التابعة آنذاك لدولة المماليك في مصر، في أن يضع له

(69) "كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون"، مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي القسطنطيني المشهور باسم حاجي خليفة، مكتبة المتني، بغداد، 1941م: 1/701.

(70) ينظر: "معجم المطبوعات العربية والمعربة"، عني بجمعه وترتيبه: يوسف إلیان سرکيس، دار صادر، بيروت، (ب.ت): 1/282-284.

(71) ينظر: "الأعلام"، لخير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، ط15، 2002م: ج5/ص67.

"دائرة مشتملة على دائرة الأرض، صغيرة، توضح ما اشتملت عليه من الطول والعرض، والرفع والخفض"، فصدر كتابه بخريطة ملونة للكثرة الأرضية، تضمنت الأقاليم والبحار والجزر والأنهار والبلدان والجبال، ثم أخذ يعرف بها تبعاً، ذاكراً بعدها الأحجار والمعادن والجواهر والنباتات والفواكه والحبوب والحيوان وخواصها. فهو موسوعة في علوم شتى تحفل بمعلومات متنوعة ولا تخلو من الولوج بذكر العجائب والغرائب كعادة مؤلفي العصر⁽⁷²⁾.

يُعرف بابن الوردی عالمان عربيان من أسرة واحدة، أولهما جد الآخر، وغطت شهرة الجد على حفيده، ونسب باحثون بعض كتب أحدهما إلى الآخر لتشاركهما في الاسم والكنية واللقب. ولابن الوردی الجد شهرة نسبية، أما الحفيد فالمعلومات عنه ضئيلة، وهو أبو حفص، سراج الدين، عمر بن المظفر بن الوردی، البكري القرشي، المعري ثم الحلبي، المتوفى سنة (852هـ=1447م) وقيل سنة (861هـ=1457م). تنم كتاباته على اهتمام بعلمي الجغرافية والنبات، وهناك كتب متدافعة تنسب له ولجده، تتطلب بحثاً خاصاً وتنقيباً طويلاً في المصادر، ولا سيما كتب التراجم في القرن الثامن والتاسع للهجرة وما بعدهما، ودراسة المخطوطات المنسوبة لأحد الرجلين دراسة نصية وتاريخية فاحصة للتيقن من اسم مؤلفها الحقيقي، ومن بينها كتاب بعنوان "منافع النبات والثمار والبقول والفواكه"⁽⁷³⁾. لكن أبرز

(72) ولذلك انتقده حاجي خليفة بقوله "أورد فيه أخباراً واهية، وأموراً مستحيلة، كما هو دأب أهل العربية، والأدباء الغافلين عن العلوم العقلية". ينظر: "كشف الظنون": 1/701.

(73) نشر بعنوان "منافع النبات والثمار والبقول والفواكه والخضروات والزياحين"، للإمام العالم العلامة ابن الوردی المتوفى سنة 749هـ، تحقيق وتعليق الدكتور محمد سيد الرفاعي، دار الكتاب العربي، دمشق، (ب.ت). ولم تتضمن مقدمة المحقق مبحثاً عن تحقيق نسبة الكتاب إلى ابن

التاريخ، كما خلت منه طبعة زناتي، ولم يذكر د. الدغيم ولا أنور محمود زناتي النسخة الخطية التي ورد فيها التاريخ حتى يمكن التحقق من قولهما. واكتفى زناتي في التّديل على صحة نسبة الكتاب إلى ابن الورديّ الحفيد بنقل فقرة مطوّلة عن د. الدغيم، تتضمّن عبارات مؤلّف الخريدة عن دواعي تأليفه الكتاب، وهي على طولها ليس فيها أدنى دليل على ما يرمي إليه الباحثان. وهذا نصّ الفقرة: "والدليل قول المؤلف في مقدمة الكتاب: «فحينئذ أشار إلى الفقير الخامل، من إشارته الكريمة محمولة بالطاعة على الرّؤوس، وسفارته المستقيمة بين الإمام المعظم والسّودان الأعظم قد سطرت في التّواريخ والطّروس، وهو المقرّ الأشرف العالي المولويّ الأمين النّاصحيّ السيّد المالك المخدم السيّد شاهين المؤيد، مولانا نائب السلطنة الشريفة بالقلعة الحلبيّة المنصورة الجليّة، أعزّ الله أنصاره، ورفع درجته وأعلى مناره: أن أضع له دائرة مشتملة على دائرة الأرض، صغيرة توضّح ما اشتملت عليه من الطّول والعرض، والرّفيع والخفض، ظلماً منه- أحسن الله إليه- أتّي أقوم بهذا الصّعب الخطير، وأنا والله لستُ بذلك، والفقير في دائرة هذا العالم أحقر حقير. فأنشدت:

إنّ المقادير إذا ساعدت ... ألحقت العاجز
بالحازم».

ومن الواضح أنّ لا دليل في هذه الكلام على ما ذهب إليه الباحثان كلاهما، وهي فقرة يبدو أنّ د. الدغيم وضعها هنا عن سهو، فتابعه محقق "خريدة العجائب"، بإيرادها في مقدّمته من دون فحص ولا تحقّق.

وقد بحثت في كثير من المراجع والدوريات عليّ أجد المقالة أو البحث الذي كتبه د. الدغيم في هذا الشأن، فلم أجده سوى في مدوّنة شخصيّة له على الشبكة العنكبوتيّة، وليس فيه من جديد غير ما نقله عنه أنور محمود زناتي، فهو يضع الفقرة المطوّلة أعلاه دليلاً على صحّة كلامه.

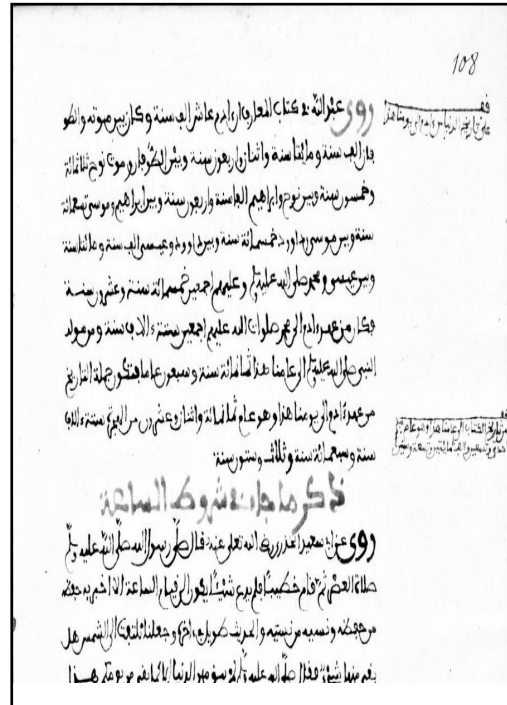
هذه الكتب، "خريدة العجائب وفريدة الغرائب"، المتدافع النسبة بينهما، بسبب من اختلاط الأمر على النّاسخين أحياناً، أو متملّكي المخطوطات أو النّاشرين في أحيان أخرى، ثمّ نسبه بعض الباحثين المحدثين إلى الحفيد، مخطئاً من نسبه للجدّ.

ويحسن بنا هنا التّوقف عند هذه المسألة الشّائكة⁽⁷⁴⁾، فقد قال أنور محمود زناتي في مقدّمة تحقيقه كتاب "خريدة العجائب وفريدة الغرائب": "وقد نسب مخطوط «خريدة العجائب وفريدة الغرائب» خطأ للقاضي زين الدّين عمر بن الورديّ البكريّ القرشيّ، (الجدّ) وهو في الحقيقة لسراج الدّين عمر بن الورديّ البكريّ القرشيّ (الحفيد)، والفضل يعود في كشف هذه المسألة في المقام الأوّل إلى الباحث الأكاديميّ السوريّ محمود السيّد الدغيم"⁽⁷⁵⁾. ثمّ ذكر زناتي دليل د. الدغيم، وهو أنّ مؤلّف كتاب الخريدة ذكر في مقدّمته أنّه قد ألّف الكتاب سنة 822هـ=1419م، أي بعد وفاة ابن الورديّ الجدّ بأكثر من سبعين عاماً، وهو دليل حاسم لو كان ذكر موضعه من الكتاب على نحو دقيق يمكن للباحثين الرّجوع إليه، ذلك أنّ النّسخ الخطيّة الثّلاث من الكتاب التي اطّلت عليها، ومنها نسخة باريس، خلت من ذكر هذا

الورديّ الجدّ، مع أنّ به حاجة إلى ذلك، فقد ورد في الصّفحة الأولى من مخطوطته (المنشورة في الصّفحة 17 من مقدّمة المحقّق) أنّ المؤلّف هو "الشيخ الإمام العالم العلامة ابن الورديّ"، من دون أيّ تحديد يجعل المحقّق مطمئناً إلى نسبته إلى الجدّ دون الحفيد. في حين ينسب الكتاب إلى ابن الورديّ الحفيد أنور محمود زناتي محقّق كتاب "خريدة العجائب وفريدة الغرائب"، لسراج الدّين أبو حفص عمر بن المظفر بن الورديّ، البكريّ القرشيّ، المعريّ ثمّ الحلبيّ، مكتبة الثقافة الإسلاميّة، القاهرة، ط1، 2008م. تُنظر مقدّمة الكتاب: ص7.

(74) وكان خير الدّين الزّركليّ ناقشها في هامش مطوّل بكتابه "الأعلام": ج5/ص67 (الهامش 1). واستبعد فيه أن يكون ابن الورديّ الجدّ هو مؤلّف الكتاب.
(75) "خريدة العجائب وفريدة الغرائب"، بتحقيق زناتي: ص6. (من مقدّمة المحقّق).

وهو ما دفعني إلى قراءة المخطوطة سطرًا سطرًا بحثًا عن دليل حقيقي يحسم هذه المسألة، ولقد ظفرتُ بذلك، ولكن ليس في مقدّمة الكتاب كما يقول د. الدغيم ويتبعه زناتي، بل في الصّفحتين (107ظ، و108و) من مخطوطة "خريدة العجائب" المحفوظة بالمكتبة الوطنيّة الفرنسيّة برقم (2199- عربي). تحت هذا العنوان: "ذُكِرَ التّواريخ من لدن آدم إلى يومنا هذا". وجاء في ختام الفقرة، قول المؤلف: "فتكون جملة التّاريخ من عهد آدم إلى يومنا هذا، وهو عام ثمانمائة واثنان وعشرون من الهجرة ستّة آلاف سنة وسبعمائة سنة وثلاث وستون سنة"⁽⁷⁶⁾.



صورة صفحة (108و) من مخطوطة "خريدة العجائب" المحفوظة بالمكتبة الوطنيّة الفرنسيّة برقم (2199- عربي)

(76) ثمة اضطراب في احتساب الرّقم الإجماليّ، فقد جاءت الفقرة في مخطوطة "خريدة العجائب" المحفوظة في جامعة برنستون برقم (-770 عربي)، كالآتي: "فتكون جملة التّاريخ من عهد [آدم] إلى يومنا هذا، وهو عام ثمانمائة واثنان وعشرون سنة من الهجرة، ثمانية آلاف سنة وستمائة سنة وثلاث وستون سنة. والله تعالى أعلم". تُنظر الصّفحة 332 من المخطوطة. أمّا مخطوطة مكتبة

والغريب أنّ هذه الفقرة التي احتوت سنة تأليف الكتاب، وردت في طبعة أنور محمود زناتي⁽⁷⁷⁾، لكنّه لم يتنبّه إليها، ولم يتوقّف عندها ليعدّل ما ورد في مقدّمته.

وبعد هذا الكشف، حاولت تتبّع تواريخ حكام حلب في العصر المملوكي، بحثًا عن نائب السّلطنة فيها سنة 822 المذكور بألقابه العديدة، فوجدتُ محمّد راغب الطّبّاخ نقل عن ابن خطيب النّاصريّة مبحثًا بعنوان "ذُكِرَ تولية حلب للأمير قجقار القرديّ"، وفيه أنّ قجقار القرديّ الأمير سيف الدين، تولّى نيابة حلب سنة 820هـ، ثمّ قتل مقبوضا عليه سنة 824هـ، وجاء في وصف ابن خطيب النّاصريّة له أنّه: "كان أميراً كبيراً كريماً محترماً محتشماً عنده أدب". ففعلّ هذا النّائب، بهذه الصّفات النبيلة، هو من كلّف سراج الدين ابن الورديّ (الحفيد) تأليف كتاب الخريدة⁽⁷⁸⁾.

الكونغرس السّقيمة، فقد وردت هذه الفقرة فيها بهذه الصّيغة: "فكان علم التّاريخ من عهد آدم إلى يومنا هذا، في عام ستمائة واثنين وعشرين من الهجرة ثمانية آلاف وستمائة سنة وثلاث وسبعون سنة". تُنظر الصّفحة 377 منها. ومن الواضح أنّ لفظة (ستمائة) محرّفة هنا عن (ثمانمائة)، كما كثير من ألفاظ هذه النّسخة التي سيرد وصف سقمها، ذلك أنّ هذا التّاريخ المخطوء فيه (622) لا ينسجم حتّى مع تاريخ مولد الجدّ، فهو يسبق ولادته بـ 69 عاماً.

(77) "خريدة العجائب وفريدة الغرائب"، بتحقيق زناتي: ص 423. ووردت الفقرة في الطّبعة كالآتي: "فيكون جملة التّاريخ من عهد آدم إلى يومنا هذا، وهو عام ثمانمائة واثنين وعشرين سنة من الهجرة، ثمانية آلاف سنة وستمائة سنة وثلاثاً وستين سنة".

(78) "أعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء"، لمحمّد راغب بن محمود بن هاشم الطّبّاخ الحلبيّ، نقحه ووقف على طباعته: محمّد كمال، منشورات دار القلم العربيّ، حلب، ط2، 1988: ج2/ص419. وإنّه ليصعب تحديد هذه الشخصيّة على نحو حاسم لأنّ من يتولّى مثل هذه المناصب الرّفيعة عادةً أحد المالكين من الذين لا يُعرف لهم نسب عائليّ واضح يرتقي به إلى أسلافه، ويميّزه عن غيره، كما أنّ سلسلة ألقاب نائب السّلطان في حلب وقلعتها، وغيرها من المناصب المماثلة متشابهة وطويلة ومتشعّبة، وذكر

هناك طبعتان حديثتان لـ "خريدة العجائب" نسبتاه إلى الحفيد سراج الدين ابن الوردی، نُشرت الأولى في القاهرة سنة 2008م، وكتب علي غلافها تحت العنوان واسم المؤلف: "المنسوب خطأ للقاضي زين الدين عمر بن الوردی البكري القرشي"، ولكن محقق الكتاب أنور محمود زناتي وضع مع اسم مؤلفه ابن الوردی الحفيد، تاريخاً غير معقول لولادته ووفاته بالتقويمين الهجري والميلادي، وهو على النحو الآتي: (691هـ=1291م-861هـ=1457م)، وهذه أرقام يصعب قبولها، لأن عمر الرجل سيكون 170 عاماً. وواضح أن المحقق أخذ من الجد سنة ولادته ومن الحفيد سنة وفاته، فمزج بينهما في العنوان على هذا النحو الخرافي.

وكان من الغريب أن المحقق اعتمد في إخراج النص على نسخة خطية واحدة محفوظة في جامعة برنستون الأمريكية، مع توافر خمس نسخ من الكتاب في الخزنة الخطية الضخمة لتلك الجامعة وحدها⁽⁷⁹⁾، وهو ما لا يشجع أحداً على الاطمئنان

القلقشندي (المتوفى سنة 821هـ) عشرات النماذج منها، ما يجعل فرز شخصية بعينها صعباً. يُنظر: "صبح الأعشى في صناعة الإنشا"، لأحمد بن علي بن أحمد الفزاري القلقشندي، دار الكتب العلمية، بيروت، (ب.ت): ج 6/ص 32، وج 12/ص 280 وغيرها من مواضع الكتاب. (79) يُنظر: "فهرس المخطوطات العربية في جامعة برنستون"، تعريب وتحقيق: محمد عايش، سقيفة الصفا العلمية، (ب.م) ط 1، 2011م: 1/253، 2/256، 302/159، 7. وبحسب مقدمة المترجم، تعدّ خزنة هذه الجامعة الواقعة بولاية نيوجيرسي، أهمّ خزائن المخطوطات العربية في الولايات المتحدة، فهي تضمّ نحو عشرة آلاف مخطوط عربي. وأصدرت الجامعة بين سنة 1900 و1983 ثلاثة فهرس لمخطوطاتها العربية. أما أرقام مخطوطات "خريدة العجائب" بالجامعة فهي: [في مجموعة جاريت: 768، 769، 770، 2112 (وهذه الأخيرة ضمن مجموع)]، [في مجموعة يهودا: 4395 (ورد سهواً في الصفحة 302 من المجلد 12 من الكتاب، الذي ضمّ فهرسه العامة، أن رقم هذه المخطوطة 4394، والصواب ما أثبتته). والنسخة الأخيرة هذه هي النسخة الأقدم تدويناً من بين نسخ جامعة برنستون الخمس، فتاريخ نسخها شهر صفر من سنة 983هـ، وهي تقع في 293 ورقة. ومن المؤسف أنني لم أف عليها].

إلى سلامة عمله التحقيقي، وكان من الغريب، أيضاً، أن يعرف المحقق في هوامشه، المطولة بإفراط لا ضرورة له، بالدولة الأموية، والعباسية، والعراق، وبغداد، وغير ذلك مما لا يحتاج تعريفاً. وفي هامش له عن بغداد قال: "غزاها المغول تحت رئاسة هولكو خان في منتصف القرن السادس الهجري"⁽⁸⁰⁾، وقال فيه أيضاً: "فيها نشاهد روائع العمارة الإسلامية في العصر العباسي الأول وخاصة «قصر الأخيضر» الذي يعدّ أجمل وأروع القصور العباسية"⁽⁸¹⁾. وفي هاتين العبارتين تخليط غير مقبول من محقق، فإن غزو المغول لبغداد وقع في منتصف القرن السابع للهجرة لا منتصف القرن السادس كما قال، وأما قصر الأخيضر الذي ذكره فهو ليس ببغداد ولا قريباً منها، بل هو في صحراء كربلاء، ويبعد عن بغداد 192 كم إلى جنوبها الغربي⁽⁸²⁾، ولا يُعرف على وجه اليقين العصر الذي بُني فيه. وهذا وغيره مما يدعو إلى عدم الركون إلى هذه الطبعة.

أما طبعة الكتاب الحديثة الأخرى، فتولّى إعدادها للنشر الدكتور حماد الله ولد السالم الأستاذ في كلية الآداب بجامعة نواكشوط بموريتانيا، وصدرت عن دار الكتب العلمية في بيروت سنة 2014. وبين ولد السالم- الذي لم يذكر النسخ الخطية التي اعتمدها- أن عمله "ليس تحقيقاً للخريدة، بل مراجعة للنص، تصحيحاً لبعض الأخطاء، وتنبهاً على الأغلاط، وتدقيقاً لبعض الألفاظ..."⁽⁸³⁾،

(80) يُنظر هامش المحقق ذو الرقم 190، في الصفحة 114.

(81) المصدر السابق نفسه.

(82) يُنظر "المعالم الأثرية في البلاد العربية"، جامعة الدول العربية، الإدارة الثقافية، مطابع مذكور وأولاده، القاهرة، 1971: 1/111.

(83) "خريدة العجائب وفريدة الغرائب"، سراج الدين عمر بن المظفر ابن الوردی البكري القرشي توفي سنة 852هـ/1447م، أو سنة 861هـ/1457م، تحرير وتقديم: الأستاذ الدكتور حماد الله ولد السالم، الكتب العلمية، بيروت، 2014م: ص 7.

وجاء النصّ الذي أخرجه على نحو يكاد أن يكون مطابقاً تماماً للنصّ المنشور في طبعة أنور محمود زناتي، فكأنّه استقاه منه حرفياً، ولكنه تجاوز في عنوان الكتاب الغلط الشنيع الذي وقع فيه زناتي، فقد اكتفى ولد السالم بوضع تاريخين بالتقويم الهجريّ والميلاديّ لسنة وفاة ابن الورديّ الحفيد، مختلف عليهما بين مترجميه، ثمّ انتقد بمرارة في مقدّمته طبعة زناتي والأخطاء التي وقع فيها، وضرب مثلاً طويلاً على أوهامه⁽⁸⁴⁾، كما انتقد عليه أخطاء منهجية أخرى "مثل اهتمامه بالتعليق على أعلام معروفين كالإمام مالك بدلاً من توضيح أماكن الأعلام الجغرافية المذكورة في المتن، وهي مقصد المؤلف من الكتاب"⁽⁸⁵⁾.

وعلاوة على كلّ ذلك، فإنّ الملاحظة البارزة على هاتين الطبعتين أنّ الباحثين اللذين توليا إخراجهما، لم يتنبّها كلاهما إلى أهميّة نقل ابن الورديّ في خريدته من ابن فضلان، ولم يتوقفاً أمام هذا الاقتباس المهمّ الذي صار ابن الورديّ بموجبه رابع مؤلّف عربيّ قديم اقتبس نصّاً لابن فضلان محيلاً عليه، بعد ياقوت الحمويّ والقزوينيّ والحرانيّ.

النصّ الفضلانيّ المقتبس محققاً على ثلاث نسخ من "خريدة العجائب"

وبسبب المؤاخذات العلميّة أعلاه على هاتين الطبعتين، لم أحبذ الاعتماد عليهما في استقاء النصّ الفضلانيّ المقتبس، ورأيت أن أحقق هذا النصّ المقتضب على ثلاث نسخ خطيّة من "خريدة العجائب":

الأولى: النسخة المحفوظة في المكتبة الوطنيّة الفرنسيّة برقم (2199- عربي)، التي يرقى تاريخ نسخها إلى القرن الحادي عشر للهجرة، وتقع في 128 ورقة. ولم يُذكر فيها اسم المؤلف. الثانية: نسخة جامعة برنستون (المحفوظة برقم

770- مجموعة جاريت)، وتقع في 186 صفحة، وهي ترقى إلى القرن الحادي عشر للهجرة. وهي منسوبة لزين الدّين عمر بن المظفر ابن الورديّ المتوفّى سنة 749هـ.

الثالثة: نسخة مكتبة الكونغرس المؤرّخة في 27 من جمادى الآخرة سنة 1041هـ، وتقع في 96 ورقة. وهي سقيمة قياساً بالأخريّين. وكتب النّاسخ عنوانها كالآتي: "خريدة الغرائب وتحفة العجائب".

والمخطوطات الثلاث كلّها مكتملة، ومزوّدة بخرائط ملوّنة، وتمتاز بالقدّم النسبيّ. وتنفرد المخطوطتان الأوليان عن الأخيرة بالوضوح والدقّة وجمال الخطّ.

وبعد أن أجريت مقارنة بين النسخ، المدوّنة كلّها في زمن متقارب من القرن الحادي عشر للهجرة، تبين أنّ مخطوطة المكتبة الوطنيّة الفرنسيّة



صورة الصّفحة (64ظ) مخطوطة "خريدة العجائب"، المحفوظة في المكتبة الوطنيّة الفرنسيّة برقم 2199 - عربي.

(84) يُنظر المصدر السّابق: ص 4-7.

(85) المصدر السّابق: ص 7.

فقرة طويلة كهذه من مقدمة كتاب على هذا النحو ما لم يكن الأمر متعمداً، سواء جرى بيد من نسخ مخطوطة مكتبة الكونغرس أم بيد مدون النسخة الأصل التي نقل عنها. ولأجل كل ما تقدم اتخذت من مخطوطة المكتبة الوطنية الفرنسية أصلاً، أما مخطوطة جامعة برنستون التي رمزت له بالحرف (ب)، ومخطوطة الكونغرس التي رمزت لها بالحرف (ك)، فعددتها نسختين ثانويتين. وفي أدناه النصُّ المقتبس محققاً، وقد سجّلت في هوامشه أدنى اختلاف بين النسخ، باستثناء بعض السمات الإملائية لدى كثير من النساخ القدامى المخالفة للرسم السائد حالياً، كحذف الهمزة المتطرفة المسبوقة بالألف، كما في لفظة (خلفاء) في المخطوطة (ب) و(ك)، أو إثبات الألف في لفظة (لكن) في المخطوطة التي اتخذتها أصلاً. أو جعل الألف المقصورة ألفاً واقفة كما في (طفا)، و(اثنا) في المخطوطات الثلاث، أو وضع النقطتين تحت الألف المقصورة كما في حرف الجرّ "إلى"، وحذفها من لفظة مثل (مكاني)، في المخطوطة (ب) و(ك)،

المدوّنة بخط مغربيّ جميل، هي أصحّ النسخ، وناسخها أدقّ قراءةً وأفضل خطّاً وأعلم بالنحو من ناسخي المخطوطتين الأخرين، تليها نسخة جامعة برنستون، أما مخطوطة مكتبة الكونغرس فناسخها عجول على ما يبدو، وربّما كان ينقل عن نسخة سقيمة، فجاء نقله من الأصل سقيماً في مواضع عديدة، مع أنّ الأخيرة هي الوحيدة المؤرّخة بين المخطوطات الثلاث. كما لاحظت أنّ مقدمة مخطوطتي المكتبة الوطنية الفرنسية وجامعة برنستون تمازان بوجود فقرة طويلة مذكور فيها سبب تأليف الكتاب بأمر من نائب السلطان في قلعة حلب، أسهب المؤلّف بالثناء فيها عليه، فيما خلت مخطوطة الكونغرس من هذه الفقرة تماماً، ما يمكن أن يعني أنّها أسقطت عند النسخ عن عمدٍ لسبب ما، ربّما يكون متعلّقاً بالصراع السياسيّ بين الممالك والإمارات الإسلامية في زمن النسخ ومكانه، وهويّة حاكم حلب الذي طلب نسخها وولائه، الذي رجّحت هويّته فيما سبق وبيّنت أنّه قُتل بعد اعتقاله سنة 824هـ، إذ يصعب سقوط

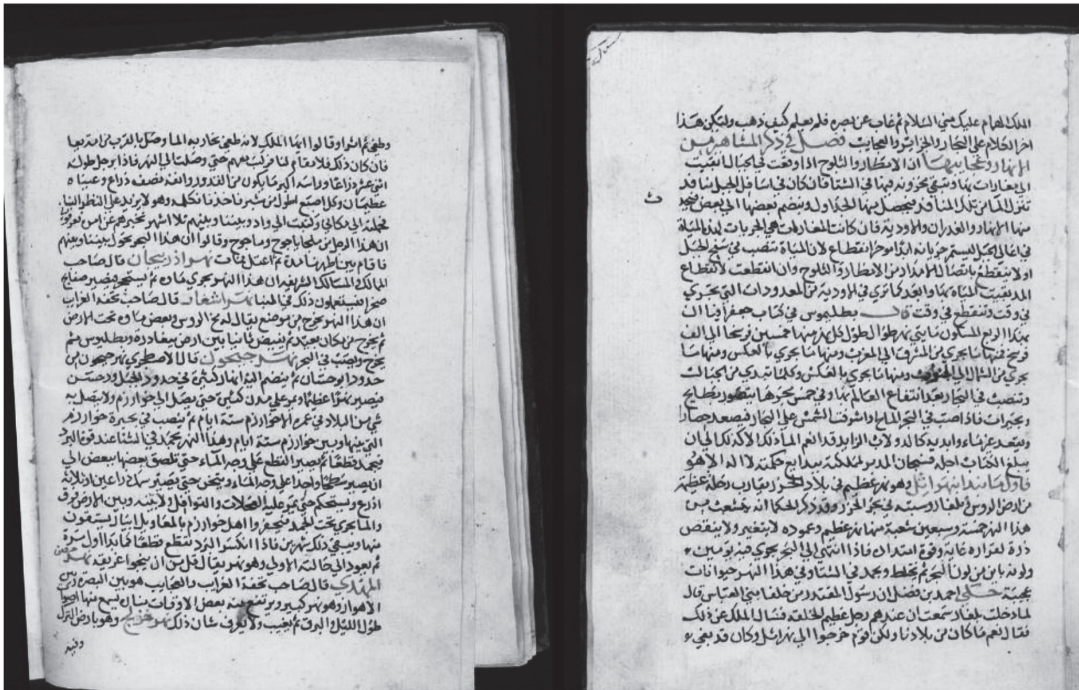


صورة الصّفحتين 183 و184 من مخطوطة «خريدة العجائب» المحفوظة في جامعة برنستون برقم 770.

وهذه من السمات الإملائية المتعارف عليها في مصر، وهي متبعة فيها حتى اليوم، ما يرجح أنّ النسختين كتبتا بمصر، أو كتبهما ناسخان مصريان، أو تعلمتا الخط بمصر، أو أخذنا أصوله عن خطاط مصري. أو ما امتاز به الخط المغربي، في المخطوطة التي اتخذتها أصلاً، من خصائص في وضع النقط على الأحرف المنقوطة على نحو مخالف لما متبع في المشرق:

صورة الصفحتين 149، 150 من مخطوطة "خريدة العجائب" المحفوظة في مكتبة الكونغرس "حكي أحمد بن فضلان رسول الخليفة" (86)

المقتدر من خلفاء بني العباس إلى بلغار (87)، قال: لما دخلت بلغار، سمعت أنّ عندهم رجلاً (88) عظيم الخلق، فسألت (89) الملك عنه (90) فقال: نعم (91)، ما كان من بلادنا، ولكن قوماً (92) خرجوا إلى نهر إتل (93) وكان قد مدّ (94) وطغى، ثم أتوا وقالوا: أيها الملك، إنه قد طفا على وجه الماء (95) رجل كأنه من أمة بالقرب منا (96)، فإن كان ذلك فلا مقام لنا. فركبت معهم حتى سرت (97) إلى النهر، فإذا برجل طوله اثنا عشر ذراعاً، ورأسه كأكبر ما يكون من القُدور، وأنفه نصف ذراع، وعيانه عظيمتان (98)،



صورة الصفحتين 149، 150 من مخطوطة "خريدة العجائب" المحفوظة في مكتبة الكونغرس

- (86) لفظة "الخليفة" لم ترد في (ب) و (ك).
- (87) عبارة "إلى بلغار" لم ترد في (ب) و (ك).
- (88) في (ب) و (ك): "رجل".
- (89) في (ك): "فسأل".
- (90) في (ك): "عن ذلك".
- (91) لفظة "نعم" ساقطة من (ب).
- (92) لفظة "نعم" ساقطة من (ب).
- (93) في (ك): "أثل"، وهو يخالف ما في الأصل ونسخة (ب)، كما يخالف ما في نسخة مشهد و "معجم البلدان".

- (94) في (ك): "بغى".
- (95) في (ب): "الأرض".
- (96) العبارة بين "أيها الملك" و "فإن كان"، جاءت في (ب) بصيغة سقيمة وغير مفهومة كالاتي: "لأنه طغى نحاربه الما وصل بالقرب من أمة يعا".
- (97) في (ب): "صرت"، وهو يوافق ما في نسخة مشهد من الرحلة، وفي (ك): "وصلت".
- (98) في (ك): "عظيمان".

نص ابن الوردی فقد وضعته بين قوسين معقوفين
 [] مسبقاً بحرف ح رمزاً للحموي:
 ”حكي أحمد بن فضلان رسول (الخليفة)
 المقتدر (من خلفاء بني العباس) إلى بلغار [ح:
 إلى بلاد الصقالبة وهم أهل بلغار]، قال: لما دخلت
 بلغار سمعت [ح: بلغني] أن عندهم [ح: فيها]
 رجلاً عظيم الخلقة [ح: الخلق جداً] فسألت الملك
 عنه [ح: فلما سرت إلى الملك سألته عنه] فقال: نعم،
 ما كان من بلادنا [ح: نعم قد كان في بلادنا ومات،
 ولم يكن من أهل البلاد ولا من الناس أيضاً]، ولكن
 قوما [ح: وكان من خبره أن قوماً من التجار]
 خرجوا إلى نهر إتل [ح: وهو نهر بيننا وبينه يوم
 واحد، كانوا يخرجون إليه] وكان قد [ح: وكان
 هذا النهر قد] مد وطغى [ح: ماؤه]، [ثم أتوا]
 [ح: فلم أشعر إلا وقد وافاني جماعة] وقالوا: أيها
 الملك (إنه) قد طفا على وجه الماء [ح: على الماء]
 رجلاً كأنه من أمة بالقرب منا، [ح: إن كان من
 أمة تقرب منا] (فإن كان ذلك) فلا مقام لنا [ح: في
 هذه الديار وليس لنا غير التحويل]. فركبت معهم
 حتى سرت إلى النهر، [ح: ووقفت عليه] فإذا برجل
 طوله اثنا عشر ذراعاً [ح: بذراعي]، و [ح: وإذا]
 رأسه كأكبر ما يكون من القدور، وأنفه نصف
 ذراع [ح: أكبر من شبر]، وعيناه عظيمتان، وكل
 أصبع [ح: وأصابعه كل واحدة] أطول من شبر.
 فأخذنا [ح: فراغني أمره وداخني ما داخل القوم
 من الفزع، فأقبلنا] نكلمه وهو لا يزيد على النظر
 إلينا. فحملته إلى مكاني، وكتبت إلى ويسا [ح: أهل
 ويسو] وبيننا وبينهم (مسير) [ح: وهم منا على]
 ثلاثة أشهر؛ لأسألهم عن أمره [ح: أسألهم عنه]،
 فعرفوني أن هذا الرجل [ح: رجل] من يأجوج
 ومأجوج، [ح: وهم منا على ثلاثة أشهر] (وقالوا:
 إن هذا) البحر يحول بيننا وبينهم [ح: يحول
 بيننا وبينهم البحر. // ثم يدرج ياقوت الحموي
 هنا قصة خرافية نقلت عن نسخة مشهد تبلغ نحو
 سبعة أسطر //] فأقام بين أظهرنا [ح: ثم قال
 الملك: وأقام الرجل عندي] مدة، ثم اعتل [ح: ثم

وكل إصبع أطول⁽⁹⁹⁾ من شبر. فأخذنا نكلمه وهو
 لا يزيد على⁽¹⁰⁰⁾ النظر إلينا. فحملته إلى مكاني
 وكتبت⁽¹⁰¹⁾ إلى ويسو⁽¹⁰²⁾، وبيننا وبينهم مسير⁽¹⁰³⁾
 ثلاثة أشهر، لأسألهم⁽¹⁰⁴⁾ عن أمره، فعرفوني أن
 هذا الرجل من يأجوج ومأجوج، وقالوا: إن هذا
 البحر⁽¹⁰⁵⁾ يحول بيننا وبينهم. فأقام بين أظهرنا
 مدة، ثم اعتل فمات.“
 وعند مقارنة هذا النص بما ورد في مخطوطة
 مشهد، اتضح أنه من المستبعد أن يكون سراج
 الدين ابن الوردی استقاه منها، ولم يبق سوى
 مقارنته بما كان اقتبسه الحموي أو القزويني من
 ابن فضلان، ولذلك عقدت مقارنات نصية بينه
 وبين هذين المصدرين المتاحين، وتبين لي الآتي:

مقارنة بين اقتباس ابن الوردی ونص ياقوت الحموي:

سأضع في أدناه اقتباس ابن الوردی من
 رحلة ابن فضلان في ”خريدة العجائب“، في إطار
 مقارنة نصية مع الاقتباس نفسه الذي استقاه
 ياقوت الحموي من الرحلة نفسها في ”معجم
 البلدان“، ولأجل تحديد مدى التطابق أو التشابه
 أو الاختلاف بين النصين، فقد وضعت الألفاظ
 والجمل والعبارات التي انفرد بها نص ”خريدة
 العجائب“ ولم يرد في ”معجم البلدان“ بين قوسين
 هلاليين ()، أما ما انفرد به نص ياقوت الحموي
 من صياغة لغوية أو إضافة أو استطراد لم يرد في

(99) لفظة ”أطول“ ساقطة من الأصل، والإضافة من (ب)
 و (ك).

(100) في (ب): ”إلى“.

(101) في الأصل: ”وكتبت“، والتصحيح من (ب) و (ك).

(102) في الأصل المعتمد: ”ويسا“، وفي (ب): ”وأسوا“،

وفي (ك): ”وادي“، والتصويب من نسخة مشهد. تنظر

”رسالة ابن فضلان“ - بتحقيق الدهان: ص 137، و”معجم
 البلدان“: ج 1 / ص 87.

(103) لفظة ”مسير“ ساقطة من (ب) و (ك).

(104) في (ب) و (ك): ”استخبرهم“.

(105) في (ب) و (ك): ”النهر“.

علقتُ به علةً في نحره] فمات [ح: بها، وخرجتُ
فرأيتُ عظامه، فكانت هائلةً جداً.]“.

تظهر نتائج هذه المقارنة النصّية، على نحو
جليّ، استبعاد إمكانية أن يكون ”معجم البلدان“
هو مصدر ابن الورديّ في اقتباسه هذا من رحلة
من ابن فضلان، وربما يعزّز من ذلك أنه لم يذكر
معجم ياقوت الحمويّ من بين المصادر السبعة
الرئيسية التي اعتمدها في تأليف كتابه، ونصّ عليها
في مقدّمة خريدته، وإن كان أشار إلى إفادته من
مصادر أخرى غيرها لم يذكرها.

مقارنة بين اقتباس ابن الورديّ ونص القزويني:

لم يذكر ابن الورديّ كتاب ”عجائب المخلوقات“
للقزويني⁽¹⁰⁶⁾ من ضمن مصادره الرئيسيّة في

(106) من بين المصادر السبعة التي ذكر سراج الدّين ابن
الورديّ في مقدّمته أنه اعتمدها، كتابٌ بعنوان ”عجائب
المخلوقات“ نسبه إلى ابن الأثير الجزريّ، ومعلوم أن
أبناء الأثير ثلاثة كلهم مؤلّفون. وينسب حاجي خليفة
(في ”كشف الظنون“: ج 1/ص 369) كتاباً لابن الأثير،
عزّ الدّين الجزريّ صاحب ”الكامل في التّاريخ“ (المتوفّي
سنة 630هـ=1233م) عنوانه ”تحفة العجائب وطرفة
الغرائب“، وقد اطلعتُ على نسختين خطّيتين من هذا
الكتاب غير المطبوع: أو لاهما محفوظة في المكتبة
الوطنية الفرنسيّة برقم (2172 عربي)، تاريخ نسخها
سنة 684هـ، أمّا الثّانية فمحفوظة في مكتبة آيا صوفيا
في اسطنبول برقم (860)، وهي غير مؤرّخة، والنّسختان
كلّهما تبدآن بالعبارة نفسها التي ذكرها حاجي خليفة،
غير أنه يستحيل أن تكون نسختا هذا الكتاب لعزّ الدّين
ابن الأثير المؤرّخ، ذلك أن مؤلّفه نصّ في مقدّمته أن من
بين مصادره ”كتاب العجائب للشيخ محمّد القزويني“،
والمعروف أن الإبrazة الأولى لكتاب القزوينيّ دوّنت بقلم
المؤلّف سنة 661هـ، أي بعد وفاة ابن الأثير بـ 31 عاماً.
ولم أجد في النّسختين النّص الفضلانيّ في الفصل الخاصّ
بالأنهار، المشابه لما في كتاب القزوينيّ وغيره (ص 116ظ
في نسخة باريس، و في الورقة 63 و من نسخة اسطنبول).
غير أنني اكتشفت بعد البحث والتّحرّي أنه يُنسب لابن
الأثير، بالفعل، كتابٌ بعنوان ”عجائب المخلوقات“، وقد
ذكره القلقشنديّ في ”صبح الأعشى“ مراراً ونقل عنه كثيراً

تأليف ”خريدة العجائب“، مع أن موضوع
الكتابين واحد، لكنّ ذلك لا يعني أنه لم يستفد
منه، فلقد قال ابن الورديّ بعد أن ذكر مصادره
السبعة: ”وغيرها من الكتب المعينة على تحصيل
الغرض المطلوب“⁽¹⁰⁷⁾. وسأجرى في أدناه مقارنة
نصّية لهذا الاقتباس بين الكتابين، على غرار ما
أجرّيته من مقارنة مع ”معجم البلدان“ في أعلاه،
مستخدماً الحرف ق رمزاً للقزوينيّ:

”حكي [ق: ذكر] أحمدُ بن فضلان [ق: عن]
رسول (الخليفة) المقتدر [ق: بالله] (من خلفاء
بني العباس) إلى بلغار، قال: لما دخلتُ [ق: وصلتُ
إلى] بلغار، سمعتُ أن عندهم رجلاً عظيماً الخلقة،
فسألتُ الملكَ عنه فقال: نعم، ما كان من بلادنا،
(ولكنّ) [ق: ومن خبره أن] قوماً خرجوا إلى نهر
إتل وكان قد مدّ وطغى، (ثمّ أتوا) وقالوا: [ق:
فقالوا] أيّها الملك، (إنّه) قد طفا على (وجه) الماء
[ق: قد وقف على الماء] رجلٌ كأنّه [ق: إن كان]
من أمةٍ بالقربٍ منّا، (فإن كان ذلك) فلا مقام لنا.
فركبتُ معهم حتّى سرتُ [ق: صرتُ] إلى النهر،
فإذا [ق: وإذا] برجلٍ [ق: رجلٍ] طولُه اثنا عشر
ذراعاً، ورأسه كأكبر ما يكون من القُدور [ق:
القدر]، وأنفه نصفُ ذراعٍ [ق: أطول من شبر]،
وعيناه عظيمتان، وكلّ إصبع (أطول) من [ق:
منه] شبر. فأخذنا [ق: فأقبلنا] نكلّمه وهو لا يزيد
على النّظر إلينا. فحملنّه إلى مكاني وكتبْتُ إلى [ق:
أهل] ويسا [ق: ويسو]، وبيننا وبينهم (مسير)
ثلاثة أشهر، (لأسألهم عن أمره)، فعرفوني أن هذا
الرجل من أجوج ومأجوج، (و) قالوا: (إنّ هذا)
البحر يحول بيننا وبينهم [ق: يحول بيننا وبينهم

من نصوصه. يُنظر ”صبح الأعشى في صناعة الإنشا“:
-292/2/3، 309، 311، 313، 333، 341، 342،
358، 419، 451، -463/75/4. ولعليّ أعود لفكّ هذه
الالتباسات في بحث منفصل.
(107) مخطوطة ”خريدة العجائب“، المحفوظة في المكتبة
الوطنية الفرنسيّة برقم (2199 - عربي): ص (2و).

البحر، قالوا⁽¹⁰⁸⁾: [فأقام [ق: الرّجل] بين أظهرنا [ق: عندنا] مدّة، ثمّ اعتلّ فمات [ق: ثمّ أصابه علة في نحره مات منها، فخرجت ورأيت جثة هائلة جداً].“

وتظهر هذه المقارنة أنّ التشابه كبير بين النّصين المقتبس، وأنّ الفوارق ليست جوهرية في الغالب بينهما، باستثناء ختام النّص، إذ جاء ختام ابن الورديّ مختصراً جداً قياساً بختام القزوينيّ، وهو ما قد يدعو إلى الاعتقاد أنّ ابن الورديّ إنّ لم يكن قد اقتبس من إحدى نسخ كتاب القزوينيّ مباشرة، فربّما يكون استقى النّص من مصدر آخر نقل من القزوينيّ.

3 - الجامع المجهول لكتاب ”مرآة الكائنات“ خامس مقتبسي نصوص ابن فضلان

كنت ذكرتُ، في موضع سابق من هذا البحث، أنّي ظننتُ الشّيخ الرّمزيّ قد وهم في إحالة بعض ما كان أورده القزوينيّ في ”آثار العباد“ إلى كتابه الآخر ”عجائب المخلوقات“، لكنني تنبّهت إلى دلالة قول الرّمزيّ عند حديثه عن النّسخة التي اعتمدها من الكتاب الأخير: ”..وتعليقُ العاقلِ على الخشبيّة نسَبها في التّرجمة المذكورة إلى قوم آخر بجانب بلغار. وهاك تعريب عبارتها: وفي وراء بلغار قوم من..“⁽¹⁰⁹⁾. فهو حين يقول ”التّرجمة المذكورة“، و”هاك تعريب عبارتها“ إنّما يتحدّث عن نسخة

(108) كذا ورد في ”عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات“، طبعة دار الكتب العلميّة، بيروت، 2013م: ص180. وكذلك في طبعة مؤسّسة الأعلميّ ببيروت سنة 2000، وجاءت بعنوان ”غرائب الموجودات والحيوانات وغرائب الموجودات“: ص155. والصّواب: ”قال“. وقد رجعت إلى مخطوطة ”عجائب المخلوقات“، المحفوظة في المكتبة الوطنيّة الفرنسيّة برقم (-221 عربي)، والتي يرقى تاريخ نسخها إلى النّصف الأوّل من القرن الحادي عشر للهجرة: فوجدت فيها بالصفحة (96ظ): ”ثمّ قال ملك بلغار: هذا الرجل بقي عندي مدّة...“.

(109) ”تلفيق الأخبار وتلقيح الآثار“: ج1/ص293.

مترجمة إلى الفارسيّة (وربّما التّركيّة)⁽¹¹⁰⁾ من كتاب القزوينيّ ”عجائب المخلوقات“، ومن المؤكّد أنّ فيها إضافات عن النّسخة العربيّة المطبوعة.

وكانت هذه الإشارة مدعاةً للتحرّي عن النّسخ الخطيّة العربيّة من كتاب ”عجائب المخلوقات“، بحثاً فيها عن نصوص غير معروفة مقتبسة من ابن فضلان، وكان لا بدّ من التوقّف أمام ملاحظات المستشرقين الألمانيّين فرديناند فستنفيلد (-1808) 1899م) ويوليوس روسكا (1867-1949) اللّذين درسا هذه المخطوطات، ونشر أولهما كتابي القزوينيّ كليهما مبكراً، وقد خلاصا من دراستهما لها، إلى أنّ هنالك أربعة إصدارات أو إبرازات أو تحريرات عربيّة مختلفة لهذا الكتاب.

فبعد أن ذكر روسكا الإبرازة الأولى بقلم المؤلّف سنة 661هـ، وإبرازته التّانية الموسّعة بقلم المؤلّف نفسه سنة 674هـ المهداة إلى علاء الدّين ابن عطاء الملك الجوينيّ عامل الإيلخانيّين على العراق، قال بحسب ما نقل عنه زميله المستشرق الألمانيّ برجستراسر: ”ثمّ أبرز الكتاب مرّةً ثالثةً بعد وفاة المؤلّف، وزيد فيه كثير ممّا هو بعيد عن فكر المؤلّف وغرضه في الفصلين السّابع والثّامن عن أجناس الإنسان، وعن الفنون المختلفة. ولم يبق من هذه الإبرازة إلاّ ترجمة فارسيّة لها“⁽¹¹¹⁾. وهذه الإشارة الأخيرة عن التّرجمة الفارسيّة هي بيت القصيد، وهي تثبت اعتماد الشّيخ الرّمزيّ على نسخة فارسيّة من ”عجائب المخلوقات“ فيها زيادات عن الطّبعة العربيّة المتداولة، منها نصوص منقولة عن رسالة ابن فضلان كما تقدّم بيانه.

(110) ذكر د. محمّد باقر علوان أماكن وجود مخطوطتين مترجمتين للفارسيّة وأربع آخر مترجمة للتّركيّة من ”عجائب المخلوقات“. تُنظر مقالته: ”كتب عجائب المخلوقات في الأدب العربيّ“، مجلّة (المورد): مج3، ع2 سنة 1974: ص241-240.

(111) ”أصول نقد النّصوص ونشر الكتب- محاضرات المستشرق الألمانيّ برجستراسر بكلّيّة الآداب سنة 1932/31“، إعداد وتقديم: د. محمّد حمدي البكري، دار المّريخ للنّشر، الرّياض، 1982: ص30.

ثم أردف روسكا قائلاً- بحسب برجستراسر:-
 ”أبرز بعض العلماء الكتاب مرةً رابعةً، فاستعان
 بالنسخة الثالثة المزورة وزاد فيها بعض معلومات
 مفيدة“⁽¹¹²⁾، وقال في الهامش موضحاً: ”وهي
 تحت عنوان «تحفة الكائنات» أو «مرآة الكائنات»
 وقد بقي منها مخطوط محفوظ في مكتبة جوتا
 رقم 1508“⁽¹¹³⁾. وعدّ روسكا أنّ الإبرازة الفضلى
 للكتاب هي الثانية، وهي ”التحرير المتمثل في أقدم
 مخطوطات الكتاب، وهو مخطوط ميونخ رقم
 464. وكان من رأي فستنفلد، ناشر الكتاب...، أنّ
 أفضل هذه التحريرات هو الرابع، وما هو إلا إعادة
 كتابة، تمت في القرن الثاني عشر الهجري، للتحرير
 الأصلي الذي كتبه القزويني، ويمثل هذا التحرير
 المخطوط رقم 1508 في مكتبة جوتا“⁽¹¹⁴⁾.

وبعد الاطلاع على معظم هذه الأصول الخطيّة،
 وغيرها، أشارت اهتمامي من بينها المخطوطة
 المحفوظة بالمكتبة الدوقية في جوتا بألمانيا برقم
 (1508 عربي) التي احتوت نصوصاً موسّعة
 مستقاة من ابن فضلان، وتضم المخطوطة الشطر
 الأعظم من نصّ كتاب ”عجائب المخلوقات“، بعد
 حذف ديباجته الطويلة، ومقدمته الأولى في شرح
 العجب، ومقدمته الثانية في تقسيم المخلوقات،
 ومقدمته الثالثة في معنى الغريب، ومقدمته الرابعة
 في تقسيم الموجودات، وفهرست الكتاب⁽¹¹⁵⁾.
 وابتدأت النسخة بخطبة الكتاب الداخليّة التي

(112) المصدر السابق والصفحة نفسها.

(113) المصدر السابق والصفحة نفسها.

(114) ”موسوعة المستشرقين“، عبد الرحمن بدوي، دار
 العلم للملايين، بيروت، ط3، 1993م. ص289. وتُنظر
 كذلك مقالة د. محمد باقر علوان: ”كتب عجائب المخلوقات
 في الأدب العربي“، المنشورة في مجلة (المورد): مج3، ع2
 سنة 1974: ص239.

(115) وهذه الموادّ المحذوفة أخذت 15 صفحة من
 مخطوطة أخرى تامّة من ”عجائب المخلوقات“، هي نسخة
 المكتبة البافاريّة في ميونخ بألمانيا، ذات الرقم 464، التي
 نُسخت يوم الثلاثاء 24 شوال من سنة 773 للهجرة، وهي
 تضمّ 212 ورقة، وتحتوي على عدد كبير من الصور الملونة.

ليس فيها اسم القزويني خلافاً لديباجته. وضمت
 المخطوطة أيضاً أبواباً وفصولاً ومباحث ليست
 من كتاب القزويني، منها: ”الباب العاشر في
 الكتابة“⁽¹¹⁶⁾ الذي جاء في أربع عشرة صفحة،
 و”النظر السابع في أصناف الناس واختلاف
 دياناتهم ورسومهم وعاداتهم“⁽¹¹⁷⁾، الذي احتوى
 فصلاً طويلاً عن العرب استغرق عشرين صفحة
 من المخطوطة، تلاه فصل آخر بأربع عشرة
 صفحة عن الفرس⁽¹¹⁸⁾ وآخر عن الروم⁽¹¹⁹⁾ ثمّ
 الترك⁽¹²⁰⁾ وغيرهم، وهو أمر لا ينسجم مع طبيعة
 كتاب القزويني، ولا مع تقسيمه المفصل البارع
 الذي توخى فيه الرّشاقة والاختصار. على أنّ هذه
 الفصول الأخيرة عن الأقوام هي بالذات ما أثارت
 اهتمامي، لأنّ فيها نقولاً مقتبسةً من نصوص
 ابن فضلان في رسالته، عند الكلام على الصّقالبة،
 والباشگرد، والخزر، والروس. كما حوت المخطوطة
 أيضاً اقتباساً آخر من الرّسالة عند كلام المصنّف
 على نهر اتل وحيواناته العجيبة، التي أفصّت في
 الحديث عنها في ما سبق.

وعند تفحص مخطوطة جوتا- التي يشير
 تملك دُون في أسفل خاتمتها، إلى أنّ الكتاب ”ألف
 في سنة 909“ - تبيّن أنّ العنوان المدون على صفحة
 غلافها هو: ”كتاب مرآة الكائنات شرح عجائب
 المخلوقات“،. لكنّ ختامها يخالف هذا العنوان،
 إذ جاء فيه (ص187و): ”انتهى. ولنمسك عنان
 القلم، والتّطويل تكلّ منه الهمم، والاختصار في
 ذلك ملتزم. قال مصنّفه أحمد التّكروري الشّافعي:
 وكان الفراغ من تصنيفه وكتابته في يوم السابع

(116) مخطوطة ”مرآة الكائنات“ لمجهول، المحفوظة
 بالمكتبة الدوقية في جوتا بألمانيا برقم 1508: ص(177ظ)-
 (184و).

(117) المصدر السابق: ص(136و)- (146و).

(118) المصدر السابق: ص (146و)- (153و).

(119) المصدر السابق: ص(153و)- (154ظ).

(120) المصدر السابق: ص(154ظ)- (157و)، وضّم
 هذا الفصل عن الترك نصّ الرّسالة الأولى الشهيرة لأبي دُلف
 مسعر بن المهلهل الخزرجيّ.

النسخ أراد أن يروج لهذه المخطوطة فوضع لها هذا العنوان المركب.

وفي كل الأحوال لا يصح عدّ هذا الكتاب الإبرازة (أو الإصدار أو النسخة المحررة) الرابعة والأخيرة لكتاب القزويني "عجائب المخلوقات" بحسب رأي فستنفيلد، فهو - وإن احتوى معظم مادته بعد الحذف والتغيير - كتاب آخر لمؤلف آخر مولع بالانتحال، أضاف إليه كثيراً مما ليس منه، ووضع له عنواناً جديداً⁽¹²³⁾. كما أن فستنفيلد يذكر أن هذه الإبرازة تمت بعد وفاة مؤلفه، فلا يجوز - والحال هذه - نسبتها إليه⁽¹²⁴⁾.

(123) كتب د. محمد باقر علوان في هذا الصدد يقول: "من الأكيد أن القزويني لم يكتب هذه النسخة، وعلى الأكثر أنها بقلم كاتب مجهول أراد أن يتوسّع فيما كتبه القزويني، وخاصة كتابه الذي تجاوز الطور الثالث كما وصفناه، ولذلك فقد وُسمت هذه النسخة بكلمة (شرح)". تنظر مقالته: "كتب عجائب المخلوقات في الأدب العربي"، المنشورة في مجلة (المورد): مج3، ع2 سنة 1974: ص239.

(124) انتقد المستشرق الألماني برجستراسر (-1886 1932) صنيع مواطنه فستنفيلد ناشر كتاب "عجائب المخلوقات" قائلاً: "كان من الواجب على الناشر أن ينشر الكتاب كما ألفه المؤلف في الإبرازة الأولى، وأن يذكر الزيادات المهمة التي جاءت في الثانية، وأن لا يلتفت إلى الإبرازة الثالثة ولا إلى الرابعة. غير أن الناشر قد بنى طبعته - لسوء الحظ - على الإبرازة الثالثة والرابعة مع زيادات من الإبرازتين الأولى والثانية، ولا عذر له في ذلك إلا كون الطبعة قديمة ظهرت سنتي 1848-1849، وكان ذلك قبل نشأة علم النصوص ونقد الكتب". ينظر: "أصول نقد النصوص ونشر الكتب - محاضرات المستشرق الألماني برجستراسر بكلية الآداب سنة 1932/31": ص31-30. ويرى د. محمد باقر علوان الرأي نفسه، معتمداً على الجزء الأول من دائرة المعارف الإسلامية بطبعتها الإنكليزية (1/842)، فقد قال إن فستنفيلد "اعتمد في طبعته على هذه النسخة، ولذلك فإننا نستطيع أن نقول إن هذه الطبعة لا تفي بالغرض". تنظر مقالته في المصدر السابق في الصفحة نفسها. على أن هذا النقد في غير محله، ذلك أن فستنفيلد اعتمد في نشره كتاب "عجائب المخلوقات" سنة 1848م على نسخة المكتبة البافارية في ميونيخ بألمانيا، ذات الرقم 464، التي عدّها روسكا الإبرازة الثانية، فهذه الطبعة تنتهي بالمقطع نفسه الذي تنتهي به تلك المخطوطة، ولم يدرج فستنفيلد فيها الزيادات التي ضمتها مخطوطة المكتبة الدوقية في جوتا ذات الرقم 1508. ولذلك خلت طبعته من النصوص المقتبسة من ابن فضلان.

من شهر ربيع الأول من سنة أربع وخمسين ومائة وألف، ثم استخرتُ الله في تسميته فسمعتُ هاتفاً يقول: يا أحمد: سمّي [كذا] هذا الكتاب تحفة الكائنات لما حوى من الفلكيات والمخبات، والله ينفع به أولادي وإخواني من المؤمنين والمؤمنات..". غير أن ما يضعف من قيمة هذه العبارات ويسقطها من الحساب، أنها جاءت بخط آخر مخالف لخط سائر المخطوطة⁽¹²¹⁾، فقد عمد أحمد التكروري - الذي يزعم أنه المصنّف والناسخ معاً - إلى كتابة صفتين جديدتين بخطه المخالف للأصل، بعد اكتمال الفصل الأخير الخاص بالموسيقى، وتحديدًا في السطر الثالث من الصفحة (186ظ)، استهلها بعنوان "خاتمة الكتاب في أسرار الأشكال" واضعاً لفظة "خاتمة" بلون أحمر، محاولاً محاكاة عنوانات المخطوطة لانتحال الكتاب لنفسه⁽¹²²⁾.

وإلى حين ظهور أدلة جديدة تكشف عن شخصية جامع هذا الكتاب، الذي هضم معظم مادة كتاب القزويني، وأضاف إليها نصوصاً أخرى استقاها من مصادر أخرى من بينها "معجم البلدان"، و"آثار البلاد"، يمكننا أن نسميه مؤقتاً باسم العنوان المدون على غلافه "مرآة الكائنات شرح عجائب المخلوقات"، مع أن الكتاب لا يمكن عدّه بحالٍ شرحاً لكتاب القزويني. ولعلّ أحد

(121) تؤكّد هذا ملاحظة للمستشرق الألماني برجستراسر. ينظر كتابه "أصول نقد النصوص ونشر الكتب": ص30 الهامش 6.

(122) الغريب أن فستنفيلد - ناشر الكتاب - اختلطت عليه الأمور وهو يحاول قراءة تملك للمخطوطة في أسفل خاتمة الكتاب، جاء فيه: "تملك هذا الكتاب العبد الفقير الحقيّر المعترف بالعجز والتقصير، يوسف ابن سلمان النجاشي الحبيشي... وحُرّر في سنة أربع وخمسين ومائة وألف. وألف في سنة 909". وواضح أن المالك حدّد تاريخ تملكه بسنة 1154هـ، وربما أراد في المقطع الأخير أن يشير إلى أن تاريخ تأليف الكتاب بسنة 909هـ، لكن فستنفيلد يرى أن الرقم 909 يجب أن يُقرأ 99، ثم يفترض أنه ينبغي إضافة 1100 عام أخرى، ليصبح الرقم 1199هـ (=1784م) من دون أي دليل يؤيد مدّعاؤه. تنظر مقدمته للكتاب (بالألمانية): ص6 [صفحات المقدمة مكتوبة بالأرقام اللاتينية].

المقتبسات الخمسة من ابن فضلان في "مرآة الكائنات"

ولنتوقف الآن لعرض أبرز الملاحظات على ما استقاه جامع هذه المخطوطة المجهول من نص ابن فضلان الرحلي، وهو قسمان منفصلان، وأولهما حكاية الكائن الضخم على نهر إتل، التي كان القزويني قد اقتبسها من ابن فضلان في كتابه "عجائب المخلوقات"، وقد مرّ الحديث عنها. أمّا القسم الثاني فيضم أربعة اقتباسات متتالية عن أربعة أقوام (الصقالبة، والباشغرد، والخزر، والروس) كان القزويني اقتبسها من نصوص ابن فضلان في كتابه "آثار العباد" منجّمة، لكنّ جامع مخطوطة "مرآة الكائنات" جمعها - نقلاً عن "معجم البلدان" - في موضع واحد، وعلى نحو أوسع بكثير ممّا أورده القزويني منها، وجعلها على نحو متسلسل واحداً تلو الآخر.

وأول هذه الاقتباسات ما نقله منه عند كلامه على نهر إتل وحيواناته العجيبة⁽¹²⁵⁾، وورد اسم النهر في هذه المخطوطة محرّفاً بصيغة (اتك). وجاء ذكر ابن فضلان كالآتي: "وفي هذا النهر من الحيوانات العجيبة ما لا يعلمها إلا الله، وذكر أحمد بن فضلان رسول المقتدر بالله إلى بلغار، قال: لما وصلت إلى بلغار بلغني أنّ عندهم رجلاً عظيماً الخلقه جداً، فلما اجتمعت بالملك استخبرت عنه، فقال: نعم، ولكن مات، وما كان من أهل بلادنا. ومن خبره أنّ قوماً خرجوا..." إلى آخر ما اقتبس. وجاء هذا الاقتباس كاملاً غير مختصر كما في "عجائب المخلوقات" المطبوع، حتّى أنّه تضمّن الحكاية الخرافية عن سمكة قوم يأجوج ومأجوج. وهو في في هيكله وفحواه يتطابق مع ما ورد في رسالة ابن فضلان ومع ما نقله ياقوت الحموي منها في "معجم البلدان"، غير أنّه يحذف عنهما اختلافاً بيّناً في طريقة سرده ولغته، فحذف واختصر وعدّل كثيراً من الصياغات اللغوية عند

تحريره النص، ولعلّه نقل من نسخة خطيّة مفقودة من أحد المصدرين.

وجاء اقتباسه الثاني عن الصقالبة⁽¹²⁶⁾، فبعد أن ذكر شيئاً عن تاريخهم وأصولهم وأديانهم وموقع بلادهم، نقلاً عن ابن الكلبي والمسعودي، قال: "ومن عاداتهم ما ذكره أحمد بن فضلان، وقد بعثه المقتدر بالله إلى ملك الصقالبة رسولاً، قال: دخلنا عليه وهو جالس على سرير مغشى بالديباج، وزوجته جالسة إلى جانبه، والأمراء والملوك على يمينه، وأولاده بين يديه. فدعا بالمائدة فقّدمت إليه، وعليها لحم مشوي. فابتدأ الملك وأخذ سكيناً وقطع لقمّة وأكلها، ثمّ ثانية، ثمّ ثالثة، ثمّ قطع قطعة ورفعها إليّ، فلما تناولتها جاؤوا إليّ بمائدة صغيرة، ووّضعت بين يدي. وهكذا ما كان يمدّ أحد يده حتّى ناوله الملك، فإذا ناوله الملك جاءت مائدة صغيرة فجعلت بين يديه، حتّى قدّم إلى كلّ واحد [في الأصل: واحدة] مائدة لا يشاركه فيها [أحد]."



صورة ص (61و) من مخطوطة «مرآة الكائنات» لمجهول، المحفوظة بالمكتبة الدوقية في جوتا برقم 1508.

(126) المصدر السابق: ص (157و) - (157ظ).

(125) مخطوطة "مرآة الكائنات" لمجهول، المحفوظة بالمكتبة الدوقية في جوتا بألمانيا برقم 1508: ص (61و).

وهذا النص المقتبس، وإن كان مطابقاً إلى حد ما، في فحواه، لما كان أورده القزويني في كتاب "آثار العباد"⁽¹²⁷⁾، مع إعادة تحرير، وإجراء تعديلات بسيطة، وحذف بعض العبارات أحياناً، مثل: "وحملوا ذلك على جهله وقلته درايته"⁽¹²⁸⁾، و"الزنا عندهم من أعظم الجرائم"⁽¹²⁹⁾. غير أن إفادة الجامع المجهول لكتاب "مرآة الكائنات" ممّا نقله الحموي في "معجم البلدان" واضحة أيضاً. وستتضح هذه الإفادة على نحو أكبر في الاقتباسات الثلاثة الأخرى الآتي بيانها، ما يدفع للقول إن مصدره فيها كان ياقوت الحموي لا القزويني.

وكان الاقتباس الثالث لجامع "مرآة الكائنات" المجهول من نصوص ابن فضلان، عن الباشغرد⁽¹³⁰⁾، قال في مستهله: "وأما الباشغردية فجيل عظيم من الترك بين قسطنطينية وبلغار. قال أحمد بن فضلان، رسول المقتدر بالله إلى ملك الصقالبة، وقد أسلم هو وأهل بلاده، ليفيض عليه بالخلع، فحكى جميع ما شاهده [في الأصل: شاهده] منذ خرج من بغداد إلى أن عاد، عند زكر الباشغردية: وقعنا في بلاد قوم من الأتراك، كانوا شر [في الأصل: سر] الأتراك وأقدرهم، وأشدّهم إقداماً على القتل [في الأصل: القبل]".

ثم يدرج الجامع المجهول بعد ذلك فقرة من ستة أسطر استقها من "معجم البلدان"، تبدأ بقوله "يطلقون لحاهم.." إلى قوله "ورأيت فيهم قوماً زعموا.."، وهي ممّا أخلّ بها كتاب القزويني "أخبار العباد"⁽¹³¹⁾ عند اقتباسه من نص ابن

(127) "آثار البلاد وأخبار العباد": ص 615. وهذا الاقتباس، والثلاثة الأخرى الآتية، كان القزويني استقها من "معجم البلدان" أو من رسالة ابن فضلان مباشرة، كما سبق بيانه.

(128) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(129) المصدر نفسه والصفحة نفسها.

(130) مخطوطة "مرآة الكائنات" لمجهول، المحفوظة بالمكتبة الدوقية في جوتا بألمانيا برقم 1508: ص (157ظ)- (158و).

(131) تُنظر ص 609-610 منه.

فإذا فرغوا من الأكل حمل كل واحد ما بين يديه إلى بيته. ومنها أن كل من دخل على الملك من صغير وكبير، حتى أولاده وإخوته، ساعة وقوع نظرهم على الملك، أخذوا قلائسهم وجعلوها تحت أباطهم، ثم إذا خرج من عنده لبسها. وإذا خرج الملك، لم يبق أحد في الأسواق وغيرها، إلا قام [في الأصل: خام]، وأخذ قلائسوته من رأسه، وجعلها تحت إبطه، حتى إذا جاوزهم تقلنسوا بها.

ومنها أن كل من بال وعليه سلاحه انتهبوه [في الأصل: انهبوه] وأخذوا سلاحه وثيابه وجميع ما معه، ومن جعل السلاح ناحية لم يتعرضوا له. [و]منها أنه قال: رأيت الرجال والنساء ينزلون في النهر ويغتسلون عراً [ص 157و] ولا يستتر بعضهم من بعض، ولا يزنون البتة، ومن زنا منهم كائناً من كان، ضربوا له أربع سلك، وشدوا يديه ورجليه إليها، وقطعوا بالفأس من رقبتة إلى فخذه. وكذلك يفعلون بالسارق ما يفعلون بالزاني".



صورة ص (157و) من مخطوطة "مرآة الكائنات" لمجهول، المحفوظة بالمكتبة الدوقية في جوتا برقم 1508.

فضلان عن الباشغرد. وبعد أن يذكر الجامع المجهول الأرباب التي اتخذها الباشغرد للظواهر الطبيعيّة والكائنات الحيّة، ويعرّج على تقديسهم الطوطميّ لبعض الحيوانات، يختتم اقتباسه بقوله: "هذا ما حكاه ابن فضلان، أمّا أنا فقد رأيت بمدينة حلب جماعة من الفقهاء الحنفيّة من بلاد باشغرد، فسألتهُم عن بلادهم فقالوا: الغالب على بلادنا الملة النصرانيّة، ونحن نوّدي الجزية إليهم..".

ومن الواضح أنّ جامع "مرآة الكائنات" المجهول اعتمد على نصّ ياقوت الحمويّ في "معجم البلدان" تماماً، مع إجراءات تعديلات هنا وهناك على نصّه. وختام الاقتباس دليل حاسم، ذلك أنّ صاحب ضمير المتكلم فيها إنّما هو الحمويّ نفسه⁽¹³²⁾.

وانفرد اقتباس جامع كتاب "مرآة الكائنات" المجهول من نصوص ابن فضلان عن الخزر⁽¹³³⁾، بأنّه جاء من غير إحالة صريحة إليه، وهو ما كان فعله القزوينيّ تماماً كما تقدّم بيانه، والجامع المجهول هنا ينقل من "معجم البلدان" بشيء من التصرّف، ونصّ "مرآة الكائنات" في هذا الموضوع أوسع بكثير ممّا أورده القزوينيّ في "آثار البلاد".

وأضع هنا النصّ الكامل لهذا الاقتباس الرّابع: "ومن عاداتهم أنّ الملك [لا] يظهر في كلّ أربعة أشهرٍ إلاّ مرّةً واحدةً متنزّهاً، ويُقال له خاقان الكبير، فإذا ركب يكون بينه وبين سائر جنوده ميلٌ، ولا يراه أحدٌ إلاّ خرّ ساجداً حتّى يجوز الملك. ومنها أنّ الملك إذا جاوز أربعين سنةً قتلته رعيّته وخاصّته، وقالوا: هذا قد نقص عقله واضطرب رأيه، فلا يصلح لتدبير الملوك [في الأصل: للملك].

ومنها أنّ الملك لا يباشر شيئاً من أمور الملوك البتّة، بل ينصب خليفةً يُقال له خاقان [به]، هو

يقود الجيوش ويسوسها ويدير أمر المملكة، ويغزو [في الأصل: ويغز] ويذعن [في الأصل: ويدعو] له الملوك الذين يصاقبونه [في الأصل: يضافونه]. يدخل كلّ يوم على الملك خاضعاً متواضعاً حافياً ويبيده حطب، فإذا فرغ من الخدمة أوقد بين يديه ذلك الحطب، وإذا فرغ من الوقيد جلس على سرير الملك عن يمينه. [و]منها أنّه إذا بعث سريّةً فانهزمت، قتل كلّ من رجع إليه منها، فلا يولّون الدبر بحال البتّة. فإن انهزموا أحضرهم وأحضر نساءهم وأولادهم، فيأخذ أولادهم الملك، ونساءهم ويهبهم لغيرهم وهم ينظرون، وكذلك دوابهم وسلاحهم وأمتعتهم، ثمّ قطعهم قطعتين وعلّقهم بأعناقهم، وربّما أحسن إليهم بجعلهم ساسةً. ومنها أنّ ملكهم [ص: 158و] إذا مات بُني له دارٌ كبيرٌ [ة] فيها عشرون بيتاً، ويُحفر في كلّ بيت قبرٌ، وتُسحق [في الأصل: ويسحق] الحجارة حتّى تصير مثل الكحل، وتُفرش [في الأصل: ويفرش] فيه، وتُطرح النُورة فوق ذلك، ويُجعل حول الدار نهراً كبيراً يجري، حتّى لا يصل إليه إنسانٌ ولا دودٌ ولا هوام، وإذا دُفن يضربون أعناق الذين دفنوه حتّى لا يدري قبره في أيّ تلك البيوت، ويُسمّى قبره الجنّة. ويقولون: قد دخل الملك الجنّة، وتُفرش [في الأصل: ويفرش] البيوت كلّها بالديباج المنسوج بالذهب.

يُذكر أنّ الحمويّ انفرد بذكر هذه التفاصيل التي بُترت من مخطوطة مشهد، اثر فقدانها صفحاتها الأخيرة. وتعدّ مخطوطة "مرآة الكائنات" بذلك المصدر الثّاني بعد "معجم البلدان" الذي حفظ شيئاً غير قليل من سرد ابن فضلان عن الخزر، متقدّمةً في درجة الأهميّة على كتاب "آثار العباد" نفسه الذي اقتبس فيه القزوينيّ بضعة أسطرٍ في هذا الموضوع.

وجاء الاقتباس الخامس والأخير في مخطوطة "مرآة الكائنات" عن الرّوس⁽¹³⁴⁾ بنحو ثلاث صفحاتٍ من المخطوطة، وهو أوسع اقتباساته

(134) المصدر السّابق: ص(158ظ) - (159ظ).

(132) يُنظر "معجم البلدان": ج2/ص323 [مادة (باشغرد)].

(133) مخطوطة "مرآة الكائنات" لمجهول، المحفوظة بالمكتبة الدوقيّة في جوتا بألمانيا برقم 1508:: ص(158و) - (158ظ).

من مؤرّخي مصر في القرن العاشر الهجري (ولد سنة 852هـ = 1448م، وتوفي نحو سنة 930هـ = نحو 1524م). وهو من تلامذة جلال الدين السيوطي، وجدّه أحد أمراء المماليك. من أهم مؤلفاته تاريخه المسمّى "بدائع الزهور في وقائع الدهور"، ويُعرف بتاريخ ابن إياس، بلغ في حوادثه سنة 928هـ⁽¹³⁷⁾.

وله مؤلفات عديدة بعضها ما زال مخطوطاً، ويهمنا منها كتابه الكوزموغرافي المخطوط "نشق الأزهار في عجائب الأقطار"⁽¹³⁸⁾، الذي اكتشفت أنّه اقتبس فيه نصّاً لابن فضلان، ليكون سادس المقتبسين نصوصاً لابن فضلان من قدامى المصنّفين العرب.

قال حاجي خليفة في وصف هذا الكتاب: "أخذه من تواريخ الأمم، وذكر فيه أغرب ما سمعه، وأعجب ما رآه من عجائب مصر وأعمالها، وما صنعت الحكماء فيها، وذكر طرفاً يسيراً من ملوكها القدماء، ومن أخبار النيل والأهرام، وابتدأ فيه بذكر طرفٍ يسير من أخبار الفلك وعلم الهيئة"⁽¹³⁹⁾.

وذكر يوسف إيلان سركيس أنّ قسماً من الكتاب طُبِعَ مع ترجمة فرنسيّة في باريس سنة 1807م، بعناية الأستاذ لانكس⁽¹⁴⁰⁾. وقد اطلعت على هذه الطبعة النادرة التي تقع في 131 صفحة، فلم أجد فيها اقتباسه من رحلة ابن فضلان.

ولأجل الوقوف على النصّ الذي استقاه ابن إياس من الرحلة في كتابه هذا، اطلعت على نسختين من مخطوطات الكتاب:

أولاهما: المخطوطة المحفوظة في المكتبة الوطنية الفرنسية بباريس برقم (-2208 عربي)، تاريخ

(137) "الأعلام": ج6/ص5-6.

(138) في "معجم المطبوعات العربية والمعربة": ج1/ص43: (الأمصار) بدلاً من (الأقطار).

(139) "كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون": ج2/ص1953.

(140) "معجم المطبوعات العربية والمعربة": ج1/ص43.

وأثرها مادّة، وقد استقاه بشيء من التصرف من "معجم البلدان" لا من "آثار العباد"؛ ذلك أنّ ما أورده جامع "مرآة الكائنات" يزيد بنحو ستة أضعاف على ما أورده القزويني. وقد استهله بقوله: "وأما الروس فأمة عظيمة من الترك، بلادهم متاخمة للصقالبة، قال المقدسي: هم في جزيرة وبيئية يحيط بها بحيرة هي حصنهم وتمنع عنهم من قصدهم. وقال أحمد بن فضلان في رسالته: ورأيت الروسية وقد وافوا بتجاراتهم، فنزلوا على نهر إتل، فلم أر أتم أبداناً منهم، كأنهم النخل، شقّر حُمُرٌ، لهم لغة برأسها، ودينٌ وشريعة لا يُشاركهم أحدٌ من الأمم فيها..".

ثمّ يدرج معظم ما نقله الحمويّ من نصّ ابن فضلان في وصف الروس وتجارتهم وعبادتهم وطعامهم وشرابهم، وعاداتهم في حالات العقوبة والمرض، شارحاً بإسهاب طقوس الموت والحزن، وطريقة حرق المتوفين، واعتقادات القوم الأخروية، متوقّفاً عند نظام الحكم الملكي ورسومه وكيفية إدارة شؤون المملكة، ومكانة المرأة الاجتماعية وزينتها، والتضحية بإحدى الجوارى عند وفاة سيدها. ولم يحذف الجامع المجهول للكتاب ملاحظات الحمويّ البيئية، ومنها قوله بعد عرض عبادتهم الوثنية: "هذا ما حكاه ابن فضلان، وأما الآن فالمشهور من دينهم النصرانية"⁽¹³⁵⁾. وما ذكره الجامع المجهول في ختام هذا المبحث عن الروس: "هذا منقول من رسالة ابن فضلان حرفاً حرفاً وعليه عُهد ما حكاه"، إنّما هو عبارة الحمويّ بنصّها تقريباً⁽¹³⁶⁾.

4 - ابن إياس الحنفيّ سادس المقتبسين القدامى نصّاً لابن فضلان

أبو البركات محمد بن أحمد بن إياس الحنفيّ،

(135) يُنظر "معجم البلدان": ج3/ص83 [مادّة (الروس)].

(136) يُنظر المصدر السابق نفسه، وكذلك الجزء والصفحة والمادّة.



صورة ص 271 و 272 من مخطوطة «نشق الأزهار» المحفوظة بالمكتبة الوطنية الفرنسية برقم (-2208 عربي)

الوارد في نسخة اسطنبول؛ لبيان الفرق بينهما.

نص ابن فضلان المقتبس بحسب نسخة باريس:

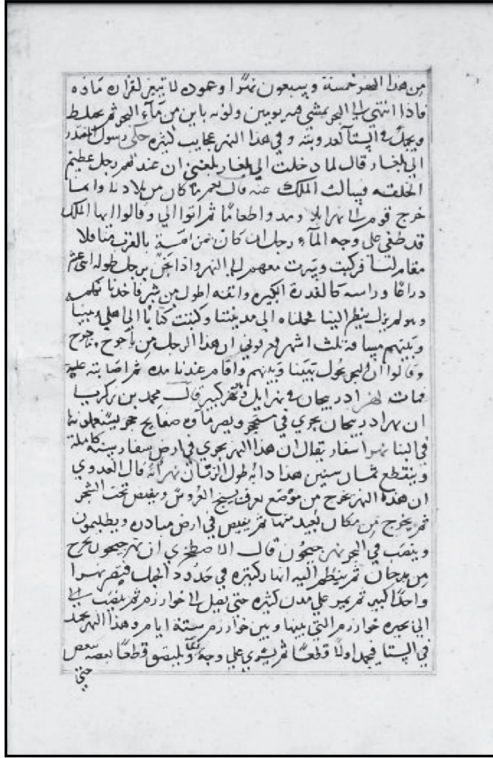
من اللآفت للنظر في نص هذه النسخة، أنّ أهل بلغار- لا الملك- هم من يسردون قصة هذا الكائن البشري الضخم لابن فضلان، وتقويل الرحالة أنّه هو من سألهم ذلك. وهذا تحوير كبير في تحولات النصّ الفضلانيّ في كتب المتأخّرين.

لن نتوقّف هنا أمام المصدر الذي نقل منه ابن إيّاس الحنفّيّ هذا النصّ، ذلك أنّه جاء على سمّت كتب العجائب التي ينقل متأخرو مصنّفها من كتب المتقدمين كما سبق أن بيّنت. ومن السمّات الإملائيّة لناسخ مخطوطة باريس، المخالفة للرسم السائد حالياً، حذفه الهمزة المتطرّفة المسبوقة بالألف كما في لفظة (الشّتاء) و(ماء)، وحذفه الهمزة من "ياجوج ومأجوج"، وهي قراءة قالون

نسخها: يوم السّبت مستهلّ ربيع الأوّل من شهور سنة 1044هـ. وهي تقع في (205 ورقة). وسأسمّيها اختصاراً نسخة باريس. وهي منسوبة في الغلاف لمصنّفها على هذا النّحو: "تأليف العلامّة المؤرّخ محمد أحمد بن إيّاس الحنفّيّ الجركسيّ".

وثانيهما المخطوطة المحفوظة في المكتبة السليمانية في اسطنبول برقم 1052، تاريخ نسخها: نهار الثّلاثاء سادس شهر شعبان المعظّم من شهور سنة 989هـ. وهي تقع في (205 ورقة). وسأسمّيها اختصاراً نسخة اسطنبول. ولم يُذكر فيها اسم مؤلّف الكتاب.

إنّ الاختلاف بين نصّ المقتبس عند مقارنة النّسختين، إذ نُسب النصّ الوارد في نسخة باريس إلى ابن فضلان صراحةً، وجاء أكثر تناسقاً وأقلّ أخطاءً من نسخة اسطنبول، التي لم يُذكر فيها اسم ابن فضلان، واكتفي بذكر صفته، ولذلك رأيت أن أعرض النصّ بنسخة باريس أولاً، ثمّ النصّ



صورة الصّفحة (70ظ) من مخطوطة "نشق الأزهار في عجائب الأقطار"، نسخة المكتبة السليمانية باسطنبول رقم 1052.

من نسخة باريس، اكتفى ناسخها بذكر صفة ابن فضلان بوصفه رسول الخليفة المقتدر، من دون ذكر اسمه صريحاً. ومن السّمات الإملائية للناسخ، المخالفة للرّسم السائد حالياً، حذفه الهمزة المتطرّفة المسبوقة بالألف كما في لفظة (الشّواء) و(ماء)، وجعله الألف المقصورة ألفاً واقفةً كما في (طفا)، و(اثنا)، ووضع نقطتين تحت الألف المقصورة كما في الفعل "حكى"، و"انتهى"، وحرّفي الجرّ "إلى" و"على"، وكتابتة حرف السّين بثلاث نقط سفليّة في بعض الألفاظ، مثل "سألت"، و"سرت"، كما هو شائع في الخطّ المغربي.

وهذا النّصّ المقتبس في هذه النّسخة، وهو مدرجٌ تحت هذا العنوان:

الشّائعة في شماليّ إفريقيا. ومنها وضعه نقطتين تحت الألف المقصورة كما في حرفي الجرّ "إلى" و"على"، وهي من السّمات الإملائية المتّبعة في مصر حتّى اليوم.

"ذِكْرُ أخبار نهر إتل [في الأصل: ايل]:"

وهو نهرٌ عظيمٌ يقارب دجلة، وهو في بلاد الخَزَر من بلاد بُلغار. قال بعض الحكماء إنّه يتشعب من هذا النّهر خمسة وسبعون نهراً، ولونه لون ماء البحر، ويجمد في الشّواء حتّى تعبر البهايم عليه، وفيه حيوانات غريبة. قال أحمد بن فضلان: دخلتُ إلى بُلغار، فسمعتُ أنّ عندهم رجلاً [ص 271ظ] عظيم الخَلقة، فسألتُ أهلها عن ذلك، فقالوا: نعم، ما هو من بلادنا، وإنّما جماعة من عندنا خرجوا إلى نهر إتل [في الأصل: ايل] وكان قد طغى [الحرف الثّاني يبدو أقرب للفاء منه للغين] مائه، فبينما هم على شاطئ النّهر وإذا برجل قد خرج من النّهر، طوله اثنا عشر ذراعاً، ورأسه أكبر من القدر الكبير، وأنفه أطول من شبر، وله عيان عظيمتان، وله كلّ اصبع قدر شبر. ف قيل إنّ هذا الرّجل من يأجوج ومأجوج، أتى مع الماء في هذا النّهر. والمسافة بين بلاد يأجوج ومأجوج ثلاثة أشهر من هذا النّهر. فأقام عندنا مدّة، ثمّ مرض ومات. وطائفة يأجوج ومأجوج منها الطّويل والقصير⁽¹⁴¹⁾.

نصّ ابن فضلان المقتبس بحسب نسخة اسطنبول:

ونصّ هذه المخطوطة أقرب للأصول القديمة

(141) مخطوطة "نشق الأزهار في عجائب الأقطار" لابن إياس الحنفيّ، النّسخة المحفوظة في المكتبة الوطنيّة الفرنسيّة بباريس برقم (2208 عربي): ص 271-272.

”فصل في نهر إتل [في الأصل: أثل]:“

وهو نهرٌ كبيرٌ يقارب نهر دجلة، من بلاد الخَزْر، ومجيئه من بلاد الرُّوم وبلغار، ومصبه في بحر الخزر. ذكر الحكماء أنه يتشعب [70 و] من هذا النهر خمسة وسبعون نهراً، وعموده لا يتغير لقرارة مائه. فإذا انتهى إلى البحر يمشي فيه يومين، ولونه باين من ماء البحر، ثم يختلط ويحمل في الشتاء لعذوبته. وفي هذا النهر عجائب [في الأصل: عجائب] كثيرة. حكى رسول المقتدر إلى بلغار، قال: لما دخلتُ إلى بلغار، بلغني أن عندهم رجلاً [في الأصل: رجل] عظيم الخلق، فسألتُ الملك عنه، قال: نعم، ما كان من بلادنا، وإنما خرج قومٌ إلى نهر إتل [في الأصل: ابل] ومد وطغى [في الأصل: واطعاما]، ثم أتوا إليّ وقالوا: أيها الملك، قد طفا على وجه الماء رجلٌ، إن كان من أمةً بالقرب منا، فلا مقام لنا. فركبتُ وسرتُ معهم إلى النهر، وإذا نحن برجلٍ طولهُ اثنا عشر ذراعاً [في الأصل: دراعاً]، ورأسه كالقدرة الكبيرة، وأنفه أطول من شبر. فأخذنا نكلّمه وهو لم يزل ينظر إلينا. فحملناه إلى مدينتنا، وكتبْتُ كتاباً إلى أهل [في الأصل: أهلي] [ويسو]⁽¹⁴²⁾، وبيننا وبينهم مسافة [ثلاثة] [في الأصل: ثلث] أشهر، فعرفوني أن هذا الرجل من يأجوج ومأجوج، وقالوا إن البحر يحولُ بيننا وبينهم. وأقام عندنا مدةً، ثم أصابته علةٌ، فمات⁽¹⁴³⁾.

(142) الإضافة من ”رسالة ابن فضلان“ - بتحقيق الدّهان: ص 137.
(143) مخطوطة ”نشق الأزهار في عجائب الأقطار“ لابن إياس الحنفي، المحفوظة في المكتبة السليمانية في اسطنبول برقم 1052: ص 70 و- 70 ظ.

المصادر والمراجع:

أ: الكتب المخطوطة:

- 1 - ”تحفة العجائب وطرفة الغرائب“، مخطوطة المكتبة الوطنية الفرنسية، برقم (2172 عربي). تاريخ النسخ: سنة 684 هـ. (188 ورقة). وهي منسوبة لشهاب الدين ابن الأثير الجزري.
- 2 - ”تحفة العجائب وطرفة الغرائب“، مكتبة آيا صوفيا في اسطنبول، برقم (860). غير مؤرخة، (115 ورقة). وهي منسوبة لشهاب الدين ابن الأثير الجزري.
- 3 - ”جامع الفنون“ (الجزء الثامن)، لنور الدين أبي الحسن علي بن عبد الرحمن بن شبيب الحراني الحنبلي، مخطوطة المكتبة الأزهرية: خاص (3475) عام (7885) [ناقصة الآخر]، (132 ورقة).
- 4 - ”جامع الفنون وسلوة المحزون“، لابن شبيب الحراني، مخطوطة المكتبة الوطنية الفرنسية. برقم (-2323 عربي). يرقى تاريخ نسخها إلى القرن العاشر للهجرة. (152 ورقة).
- 5 - ”خريدة العجائب وفريدة الغرائب“، مخطوطة المكتبة الوطنية الفرنسية، برقم 2199 - عربي. يرقى تاريخ نسخها إلى القرن الحادي عشر للهجرة، (128 ورقة). لم يُذكر فيها اسم المؤلف.
- 6 - ”خريدة العجائب وفريدة الغرائب“، مخطوطة جامعة برنستون بولاية نيوجيرسي الأمريكية، برقم -770 عربي. يرقى تاريخ نسخها إلى القرن الحادي عشر للهجرة، (187 ورقة). وهي منسوبة إلى ”زين الدين عمر بن المظفر ابن الوردی المتوفى سنة 749“.
- 7 - ”خريدة العجائب وفريدة الغرائب“، مخطوطة مكتبة الكونغرس. تاريخ النسخ: 27 من جمادى الآخرة سنة 1041 هـ. (96 ورقة). ولم يُذكر فيها اسم المؤلف. ودون الناسخ عنوانها كالاتي: ”خريدة الغرائب وتحفة

العجائب“.

مستهل ربيع الأول من شهر سنة 1044هـ. (205 ورقة).

ب: الكتب المطبوعة

1 - "آثار البلاد وأخبار العباد"، زكريا بن محمد بن محمود القزويني، دار صادر - بيروت (ب.ت).

2 - "أصول نقد النصوص ونشر الكتب- محاضرات المستشرق الألماني برجستراسر بكلية الآداب سنة 1932/31"، إعداد وتقديم: د. محمد حمدي البكري، دار المريخ للنشر، الرياض، 1982.

3 - "الأعلام"، خير الدين الزركلي، دار العلم للملايين، بيروت، ط15، 2002م.

4 - "أعلام النبلاء بتاريخ حلب الشهباء" ج2، محمد راغب بن محمود بن هاشم الطباخ الحلبي، نقحه ووقف على طباعته: محمد كمال، منشورات دار القلم العربي، حلب، ط2، 1988.

5 - بغية الطلب في تاريخ حلب" (ج10)، عمر بن أحمد بن هبة الله بن أبي جرادة العقبلي، كمال الدين ابن العديم، تحقيق: د. سهيل زگار، دار الفكر، بيروت، (ب.ت).

6 - "تاريخ الأدب الجغرافي العربي" (ق1)، اغناطيوس يوليانونفتش كراتشكوفسكي، نقله إلى اللغة العربية: صلاح الدين عثمان هاشم، الإدارة الثقافية- جامعة الدول العربية، القاهرة، 1961م.

7 - "تلفيق الأخبار وتلقيح الآثار في وقائع قزان وبلغار وملوك التتار"، م.م. الرّمزي، الناشر: اورنبرغ، طبع بالمكتبة الكريمة والحسينية، ط1، 1908م.

8 - "جامع الفنون وسلوة المحزون"، ابن شبيب الحراني، تحقيق: د. فاروق اسليم، د. فاطمة البريكي، هيئة أبوظبي للسياحة والثقافة، أبو ظبي، 2015م.

9 - "الجغرافية عند العرب"، شاكر خصبك، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1، 1986م.

8 - "عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات"، لزكريا بن محمد القزويني، مخطوطة المكتبة البافارية في ميونخ بألمانيا، برقم 464، تاريخ النسخ: يوم الثلاثاء 24 شوال من سنة 773 للهجرة. (212 ورقة).

9 - "عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات"، لزكريا بن محمد القزويني، مخطوطة المكتبة الدوقية في جوتا بألمانيا، برقم 1506، وهي نسخة غير مؤرخة، مرسوم عليها كثير من الصور، (216 ورقة).

10 - "عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات"، لزكريا بن محمد القزويني، مخطوطة المكتبة الدوقية في جوتا بألمانيا، برقم 1507، وهي نسخة غير مؤرخة، مرسوم عليها كثير من الصور، (231 ورقة).

11 - "عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات"، لزكريا بن محمد القزويني، مخطوطة المكتبة الوطنية الفرنسية، برقم (221)، يرقى تاريخ نسخها إلى النصف الأول من القرن الحادي عشر للهجرة، (205 ورقة).

12 - "عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات"، لزكريا بن محمد القزويني، مخطوطة المكتبة الوطنية الفرنسية برقم (2175عربي). تاريخ النسخ: ضحوة يوم السبت 17 ربيع الأول سنة 986 للهجرة، (227 ورقة).

13 - "مرآة الكائنات شرح عجائب المخلوقات"، لمجهول، مخطوطة المكتبة الدوقية في جوتا بألمانيا، برقم 1508. نسخة ترقى إلى القرن الثاني عشر الهجري، (187 ورقة).

14 - "نشق الأزهار في عجائب الأقطار"، مخطوطة المكتبة السليمانية في اسطنبول برقم 1052، تاريخ النسخ: نهار الثلاثاء سادس شهر شعبان المعظم من شهر سنة 989هـ. (205 ورقة). لم يذكر فيها اسم مؤلفه.

15 - "نشق الأزهار في عجائب الأقطار"، لمحمد بن أحمد بن إياس الحنفي الجرسكي، مخطوطة المكتبة الوطنية الفرنسية برقم (-2208عربي). تاريخ النسخ: يوم السبت

- 10 - "خريدة العجائب وفريدة الغرائب"، سراج الدين أبو حفص عمر بن المظفر بن الوردی، البكري القرشي، المعري ثم الحلبي (691هـ=1291م / 861هـ=1457م) المنسوب خطأ للقاضي زين الدين عمر بن الوردی البكري القرشي، تحقيق: أنور محمود زنتي، مكتبة الثقافة الإسلامية، القاهرة، ط1، 2008م.
- 11 - "خريدة العجائب وفريدة الغرائب"، سراج الدين عمر بن المظفر ابن الوردی البكري القرشي توفي سنة 852هـ/1447م، أو سنة 861هـ/1457م، تحرير وتقديم: الأستاذ الدكتور حماد الله ولد السالم، الكتب العلمية، بيروت، 2014م.
- 12 - "دائرة المعارف الإسلامية الكبرى" ج3، بإشراف كاظم الموسوس البجنوردي، الناشر: مركز دائرة المعارف الإسلامية الكبرى، مؤسسة الطبع والنشر التابعة لوزارة الثقافة والإرشاد الإسلامي، طهران، ط1، 1998م.
- 13 - "الدرر الكامنة في أعيان المئة الثامنة" (ج4)، أبو الفضل أحمد بن علي بن محمد، ابن حجر العسقلاني، تحقيق: محمد عبد المعيد خان، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد، الهند، ط2، 1972م.
- 14 - "رحلة ابن فضلان إلى بلاد الترك والروس والصقالبة 921"، حررها وقدم لها: شاکر لعبيبي، دار السويدي للنشر والتوزيع- أبو ظبي، والمؤسسة العربية للدراسات والنشر- بيروت. ط1، 2003م.
- 15 - "رسالة ابن فضلان في وصف الرحلة إلى بلاد الترك والخزر والروس والصقالبة سنة 309هـ/921م"، تحقيق د. سامي الدهان، المطبعة الهاشمية، دمشق، 1379هـ/1959م.
- 16 - "صبح الأعشى في صناعة الإنشا"، أحمد بن علي بن أحمد الفزاري القلقشندي (ت 821هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت، (ب.ت.).
- 17 - "شخصيات القدر": الشخصيات العربية، اقتباس:
- الدكتور مصطفى جواد ويوسف مسكوني، والشخصيات الغربية، تأليف: دونالد كالروس بليتي، وترجمة: صائب أمين وعبد الصمد السامرائي وعلي الشوبكي وفاروق محمد يوسف، مكتبة النهضة ببغداد بالاشتراك مع مؤسسة فرانكلين للطباعة والنشر، بغداد، 1963م.
- 18 - "عجائب المخلوقات والحيوانات وغرائب الموجودات"، للإمام العالم زكريا بن محمد بن محمود الكوفي القزويني، منشورات مؤسسة الأعلمي للمطبوعات، بيروت، ط1، 2000م.
- 19 - "عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات"، زكريا بن محمد بن محمود القزويني (المتوفى سنة 682هـ)، اعتنى به محمود عبد الله أسعد، دار الكتب العلمية، بيروت، 2013م.
- 20 - "فهرس المخطوطات العربية في جامعة برنستون" (المجلدات: 1، 2، 7، 12)، تعريب وتحقيق: محمد عايش، سقيفة الصفا العلمية، (ب.م) ط1، 2011م.
- 21 - "كتاب آثار البلاد وأخبار العباد"، تصنيف الإمام العالم زكرياء بن محمد بن محمود القزويني، تحرير: فرديناند ويستنفيلد، بدعم الجمعية الشرقية الألمانية، غوتنغن، 1848م. (مع مقدمة بالألمانية).
- 22 - "كتاب عجائب المخلوقات وغرائب الموجودات"، تصنيف الإمام العالم زكرياء بن محمد بن محمود القزويني، تحرير: فرديناند ويستنفيلد، بدعم الجمعية الشرقية الألمانية، غوتنغن، 1849م. (مع مقدمة بالألمانية).
- 23 - "كشف الظنون عن أسامي الكتب والفنون"، مصطفى بن عبد الله كاتب جلبي القسطنطيني المشهور باسم حاجي خليفة، مكتبة المثنى، بغداد، 1941م.
- 24 - "المعالم الأثرية في البلاد العربية"، ج1، جامعة الدول العربية، الإدارة الثقافية، مطابع مذكور وأولاده، القاهرة، 1971م.
- 25 - "مروج الذهب ومعادن الجوهر" (ج1)، لأبي الحسن

العلم للملايين، بيروت، ط3، 1993م.

33 - "نبذة من نشق الأزهار في عجائب الأقطار" Extrait de l'Odeur des fleurs dans les merveilles de l'univers، تأليف العلامة المؤرخ محمد بن أحمد بن إياس الحنفي الجركسي، Imprimerie Impériale، Paris، 1807.

34 - "النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة"، أبو المحاسن جمال الدين يوسف بن تغري بردي بن عبد الله الظاهري الحنفي، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، دار الكتب، القاهرة، (ب ت).

ج: المقالات:

1 - "تعليق على كتب العجائب"، كوركيس عواد، مجلة (المورد) البغدادية: مج3، ع2 سنة 1975م: ص257.

2 - "الخرافات والأوهام"، عيسى إسكندر المعلوف، مجلة (المقتبس) الدمشقية: الجزء 9 مج 8، الصادر في 1 أيلول (سبتمبر) 1913م: ص835.

3 - "كتاب الفنون لابن عقيل"، الدكتور مصطفى جواد، "مجلة المجمع العلمي العربي بدمشق": الجزء 1، مج29، الصادر في 1 كانون الثاني (يناير) 1954م: ص36-51.

4 - "كتب عجائب المخلوقات في الأدب العربي"، د. محمد باقر علوان، مجلة (المورد) البغدادية: مج3، ع2 سنة 1974م: ص235-242.

5 - "مصطفى جواد عاشق المخطوطات العربية"، جليل العطيّة، جريدة "الشرق الأوسط" اللندنية، ع 9494 الصادر يوم الخميس 25 تشرين الثاني (نوفمبر) 2004م.

علي بن الحسين بن علي المسعودي، اعتنى به وراجعته: كمال حسن مرعي، المكتبة العصرية، بيروت، ط1، 2005م.

26 - "معجم أسماء المستشرقين"، د. يحيى مراد، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 2004م.

27 - "معجم البلدان"، شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله الرومي الحموي (المتوفى سنة 626هـ)، دار صادر، بيروت، ط2، 1995م.

28 - "معجم المطبوعات العربية والمعربة"، عني بجمعه وترتيبه: يوسف إلبان سركيس الدمشقي، دار صادر، بيروت، (ب ت). [هي إعادة للطبعة الأولى من الكتاب - مطبعة سركيس بمصر، 1928م، وبترتيب صفحات تلك الطبعة نفسها].

29 - "معجم المؤلفين" (ج7)، عمر رضا كحالة، مكتبة المثنى، ودار إحياء التراث العربي - بيروت (ب ت).

30 - "منافع النبات والثمار والبقول والفواكه والخضروات والزياحين"، للإمام العالم العلامة ابن الوردي المتوفى سنة 749هـ، تحقيق وتعليق الدكتور محمد سيد الرفاعي، دار الكتاب العربي، دمشق، (ب ت).

31 - "موجز دائرة المعارف الإسلامية" (ج10)، تحرير: م. ت. هوتسما، ت. و. أرنولد، ر. باسيت، ر. هارتمان: إعداد وتحرير: إبراهيم زكي خورشيد، أحمد الشنتناوي، عبد الحميد يونس، مركز الشارقة للإبداع الفكري، الشارقة - الإمارات العربية المتحدة، ط1، 1998م.

32 - "موسوعة المستشرقين"، عبد الرحمن بدوي، دار